الثقافة

AL-THAQAFA

الإدارة : ٩ شارع الكرداسي عابدين — القاهرة — التليفون رقم : ٤٢٣٩٩ / ٥٣٢٦٩

العدد ١٤٩ — الثلاثاء ١٥ من شوال سنة ١٣٦٠ — ٤ من نوفمبر سنة ١٩٤١ — السنة الثالثة

فهرس العــــدد

صور قضائية :

خصـــومة الأقارب

لقاضي الفاضل صاحب الإمضاء

جعلت دأبي في كل ما يعرض علىّ من نزاع مدنيّ أن أبدأ بمحاولة التوفيق بين الطرفين ، لعلي أوفق في إبرام صلح يسوي ما بينهما من منازعات . وكنتُ مهما بذلتُ في هذا السبيل من وقت أعتقدُ أني أنا الرابح بحسم النزاع على هذه الصورة . لأن القضية التي تنتهي صلحاً لا تعود في الغالب إلى المحكمة مرة أخرى ، ولأن الصلح ليست له عقابيل مثل تلك التي تتركها الأحكام القضائية عادة . إلا أن من يصدر عليه حكم قضائي يخرج من المحكمة وفي نفسه مرارة الهزيمة ، فتدعوه غريزة العناد إلى أن يطعن في هذا الحكم . وما أكثر ما رسمته القوانين من طرق الطعن في الأحكام . . . .

فإن الحكم إن صدر « غيابياً » كان لمن صدر عليه حق « المعارضة » فيه . .

وإن صدر « حضورياً » قابلاً للاستئناف كان له حق « استئنافه » . . . .

وإن كان في الحكم الاستئناف أو غيره وجه « لالتماس إعادة النظر » فيه رفع عنه « التماساً » . . . .

ثم هو من بعد كل ذلك قد يعاود طرح النزاع أمام

القضاء في صورة ثانية وثالثة ورابعة ، حتى يستنفد كل ما للنزاع القائم من وجوه .

فاذا ما أصبح الحكم نهائياً ، وجاء أوان تنفيذه ، انفتحت أمام الطاعن آفاق جديدة للمماطلة والإرباك ؛ وذلك بأن « يستشكل » في تنفيذ الحكم ، ويكون هذا « الاشكال » بدعوى جديدة ترفع إلى القاضي ليفصل فيها . . .

وقد جرى بعض هواة هذا النوع من النضال على أن يسخروا « أجنبياً » ليعترض طريق المحضر الذي يقوم بتنفيذ الحكم . وبذلك ينتقل النزاع من ساحة القضاء الأهلي إلى ساحة القضاء المختلط — كل ذلك لأن من صدر عليه الحكم لم يقنعه ولم يرد تأكيده .

وهنا يتجلى الفرق واضحاً بين إنهاء الخصومة « صلحاً » وبين إنهائها « قضاءً » .

* * *

ولقد لاحظت أنه مهما يكن النزاع في أوله مستعصياً ومهما تكن نيات الخصوم في بدء الأمر سيئة ملتوية ، فان اصطناع شيء من الصبر ، والدخول بين الطرفين بشيء من الكلام اللين ، وعرض بعض الحلول التي يراعى فيها التوفيق بين المصلحتين ، كثيراً ما كان يؤدي إلى عقد الصلح المنشود . ويخرج كل فريق راضياً عن خصمه وعن نفسه ! اللهم إلا إذا كان هذا النزاع بين أفراد أسرة واحدة ، فهنا كنت أجد أكثر المشقة في التوفيق . وكانت معظم محاولاتي تصاب بالفشل الذريع ، حتى كاد يستقر بي الرأي يوماً من الأيام أن لا أحاول التوفيق قط في منازعات الأقارب والأصهار ، لكثرة ما بذلت فيها من وقت مضاع ، وما لاقيت فيها من عنت مرهق ، وفشل مطبق .

* * *

وإني أنسى لا أنسى يوماً عرضت فيه على قضية أسرة تركية ، توفي عائلها عن مال موقوف ، وعن أطفال صغار فعينت أمهم وصية عليهم ، وبقيت تشرف على شئونهم حتى بلغ أحد أولادها سن الرشد ؛ فبدأ يطعن في تصرفاتها في مال الوقف ، ويشكو منها كوصية على باقي إخوته وظل ينازعها في هذه الوصاية حتى توصل إلى استصدار قرار من المجلس الحسبي بالامته هو وصياً على إخوته القصر بدلا منها .

وعند ذلك دخل معها في نزاع طويل على حساب الوقف وغلته ، وما استولت عليه منها لنفسها ، وما أدته إلى المستحقين . فلما عرضت على الدعوى ، شق على نفسي أن أرى هذه الخصومة تقوم بين أم وولدها .

وألجأني نفسي إلى فكرة التوفيق بينهما ، فأجلت القضية آخر الجلسة لأسعى فيها بالصلح بين الطرفين في غرفة المداولة .

ولا أزال أذكر الحيرة والندم الشديد أني على الرغم من طول عشرة ذلك اليوم ، وشدة ما عانيت من الجهد في نظر قضاياها ، قد طوعت لي نفسي أن أنفق بين هؤلاء القوم ساعة أخرى من الزمن في عرض الحلول ، وبذل الاقتراحات دون أن أجد عند أي الطرفين أدنى استعداد لقبول شيء من كل هذا الذي كنت أعصر ذهني في تقديمه لهما .

وما راعني آخر الأمر إلا الوالدة وهي تضرب بقبضة يدها على مكتبي قائلة في لهجة حازمة :

— أفندم ! الخشب خشب ، والرخام رخام !

فسألتها : ماذا تعني ؟ . . .

قالت : أنت تستطيع أن تدق مسماراً في قطعة من الخشب ، ولكنك لا تستطيع أن تفعل ذلك في قطعة من الرخام ، فلا تحاول أن تدخل في رأس واحد منا

فكرة قبول شيء من هذا الصلح الذي أعرضه

قلت : لا فض فوك وسبقتني ! فإني لم أكن أعلم حتى هذه اللحظة أن رأس حضرتك الكريم ، ورأس عمك العزيز قد خليا من الرشد !

وأصدرت حكمي في دعواهما — ولم يستغرق مني ذلك أكثر من خمس دقائق هي التي حررت فيها أسبابي ، فإن الحق كان واضحاً في جانب أبيها ، ولكني كنت أستحي أن أخذلها أمامه بحكم يجعل يده فوق يدها ، وهي أمه التي حملته ووضعته ونشأته .

* * *

على أن كل هذا الحديث الذي سقته بين يدي القارئ ، ليس إلا مقدمة للحالة الغريبة التي أردت أن أعرضها عليه اليوم ، والتي أثارت في نفسي كل هذه الخواطر :

فقد تقدم إليّ منذ أمد قريب في [illegible] اثنان كلاهما يتهم الآخر بأنه بصق في وجهه ، وصدمه في الطريق العام . . .

وأمعنت في مناقشتهما ، فتجلى لي من أمرهما ما يدعو إلى أشد العجب ، حتى لقد عدت إلى منزلي ظهراً وطرحت أمرهما على صغاري باعتبار أنه (أحجية) أريد منهم حلها . قلت :

١ — إذا قيل لكم إن اثنين تباصقا وتصادما في الطريق ، فكم تقدرون أن تكون سن الواحد منهما ؟

قالوا : هذان طفلان — ولا شك — يعبثان !

قلت : صفر من عشرة ! فإن هذين الاثنين كانا رجلين في الحلقة الخامسة من عمرهما ، ولعل واحداً منهما كان في الحلقة السادسة أيضاً .

٢ — ثم قلت : وماذا تقدرون أن يكون مركزهما الاجتماعي ؟

قالوا : صعلوكان أمرهما هين ولا شك على نفسيهما وعلى الناس !

قلت : صفر آخر من عشرة ! فإنهما كانا مهندساً وجيهاً ومعلماً أنيقاً !

٣ — ثم قلت : وماذا تقدرون أن تكون صلة بعضهما ببعض ؟

قالوا : عدوان لدودان ، تأصلت العداوة في صدور أجدادهما ، فورثها منهم الحفدة !

قلت : أصبح الصفر مكعباً ، فهما أخوان نشأا في بيت واحد وبيئة واحدة !

قالوا : إن كانا أخوين فلا بد أن يكونا غير شقيقين !

قلت : وهذا صفر رابع تحرزتم به . فوالله لقد كانا شقيقين أبوهما واحد وأمهما واحدة !

قالوا : حسناً إذاً ، سبب شجارهما ، فقد أعيانا الحدس [illegible] !

[illegible] أباهما [illegible] شيخاً كبيراً عتت حوالى ثلاثين [illegible] ضعفت حواسه ، وتقطع أولاده — وهو ما زال حياً يرزق — إلى « تركته » . فطلبت إحدى بناته توقيع الحجر عليه ، ورفعت طلبها إلى المجلس الحسبي ، فعين المهندس قيماً على والده ، لأنه كان أكبر أبنائه . وعادت البنت فطلبت إلى المجلس أن يقرر لها من مال أبيها نفقة تعيش منها ، فقرر المجلس نفقة لها ولأمها ولبعض إخوتها ممن تجب على الأب نفقتهم ، وكان ذلك بموافقة القيم ، فلم يرض صاحبنا « المعلم » عن هذا القرار ، لأنه رأى مال أبيه يتسرب عن طريقه إلى بعض أفراد الأسرة دون بعض ، ففكر في طريقة يوقف بها تنفيذه ، وهداه تفكيره — سامحه الله — إلى أن ينكر قيام الزوجية بين أمه وأبيه . ومن شأن هذا الطعن أن يعطل تنفيذ القرار السابق ريثما يتم التحقيق فيه . وقد تقدم الأخ « المعلم » فعلاً بهذا الطعن للمجلس ، وتحددت جلسة النظر فيه ،

التقليم والتطعيم
في القانون

عقد الأستاذ الجليل أحمد بك أمين فصلين ماتعين أفرد الكلام فيهما على عمليتي التقليم والتطعيم في الأدب أولاً وفي اللغة ثانياً . فهل لمجلة « الثقافة » أن تفسح صدورها لكلمة على « التقليم والتطعيم في القانون » ؟

إن القوانين مقياس رقي كل أمة ، ومرآة تنعكس فيها مدنية الشعوب وحضارة الأمم . فالقوانين إذا دقت نصوصها وعالجت أحكامها مختلف الأمراض الاجتماعية ، فردعت المجرم ، وأنصفت المظلوم ، وردت إلى كل ذي حق حقه ، كانت الأمة التي تتمتع بمثل هذه القوانين أمة بلغت من المدنية شأواً كبيراً . أما إذا عالت قوانينها قصور ، وردت المظلوم على أعقابه يحمل مسوغة ، أو مكنت المجرم من العقاب من ثغرة في نصوصها ، كانت الأمة التي تتمتع بمثل هذه القوانين أمة لا يرجى منها ارتقاء أو تقدم .

وليست القوانين مجرد نصوص تتقابل فتتفق ، فرب قانون صدر في عصر أو لبلد فوافقت أحكامه أهله ، إذا طبق في عصر آخر أو نقل إلى غير هذا البلد باء بالفشل المبين ؛ فلكل عصر ضروراته ، ولكل بلد عرفه وعاداته .

ومهمة الشارع في بلده مهمة البستاني في بستانه : هذا يقلم ما ذبل من أزهار وما جف من أغصان ، ليقوى أصلها الصالح ، أو يطعم الشجرة والورد ليحسن ثمارها ويعطر عبيره ، وذاك يقلم ما بلي من نصوص ، فيعدل معوجها ، ويقوم أودها ، أو يطعم المواد ويغذيها ليتناول بتطبيقها كل حالة وكل حاجة . لذلك وجب أن تكون القوانين مرنة لتساعدها على التطور ومجاراة الرقي ، وإلا جمدت وحدث وقفت عثرة وعقبة

وصال فيها الأخوان وجالا ، وأدلى كل واحد منهما بما عنده من الأسانيد . وكان النمر هو الفائز في هذه الجولة ، لأنه حصل على قرار من المجلس بالتأجيل للتحقق من صحة هذا الطعن . فأسرها له أخوه « المهندس » ، وغادر الطرفان قاعة الجلسة ، وانتهيا إلى الطريق ، وفي صدر المهندس من الحقد على أخيه ما فيه . فما خلا به رأى أن يرد عليه تحيته التي وجهها إلى والدته أمام المجلس ، إذ أنكر زوجتها لوالده بأن بصق في وجهه ، ومد يده إليه فصفعه على خده .

فما كان من النمر إلا أن كال لأخيه الأكبر بصقة ببصقة وصفعة بصفعة ، وتكاثر الناس حولهما ، ودخلوا بينهما ، فحالوا دون استرسالهما في هذا التصدق الشائن ولكنهما أصرا على الذهاب إلى القسم ، حيث شكا كل واحد منهما أخاه بأنه بصق في وجهه وصفعه . وهكذا انتهت إلى تحقيق تلك المعركة التي بدأت مناوشتها في قاعة المجلس الحسبي ، ودارت رحاها في الطريق العام .

قال الولد الأكبر عقب هذا الإيضاح :

— قبح الله المال ! إنه ما دخل بين اثنين إلا أفسد عليهما صلاتهما ، حتى ولو كانا أخوين !

وقال الخبيث الصغير :

— الذي أراه أنا أنه لو كانت الوالدة أحسنت تربية هذا « النمر » أيام كان بين يديها صغيراً ، لما سولت له نفسه أن يجحد أمومتها وهو كبير !

أما أنا فلم أعلق بشيء ، ولكن سانحة مرت بخاطري : وهي أن أول نزاع وقع على ظهر الأرض كان ذلك الذي حدث بين قابيل وهابيل .

فغفر الله لأولهما . . . وعلى ثانيهما السلام !

ع . ج

فهذه القوانين المصرية وضعت نصوصها المعمول بها أمام المحاكم المختلطة في سنة ١٨٧٥ — أي منذ ٦٦ سنة — والمعمول بها أمام المحاكم الأهلية في سنة ١٨٨٣ — أي منذ ٥٨ سنة — والمعمول بها أمام المحاكم الشرعية في سنة ١٨٩٧ — أي منذ ٤٤ سنة. فقوانيننا سنت أحكامها لنصف قرن مضى أو يزيد، دون أن تعدل أو تهذب، أو بعبارة أخرى دون أن تقلم أو تطعم — إلا في النادر — وبقيت كما هي جامدة، والفلك يدور دورته، والبلاد تتطور، والناس يتقدمون.

لذلك أصبحت القوانين المصرية في حاجة إلى التقليم والتطعيم.

* * *

أما التقليم فعلى نوعين: شكلا وموضوعا.

أما الشكل فباستبدال الألفاظ البالية غير العربية والتراكيب الركيكة بكلمات وجمل صحيحة فصيحة.

فهذا القانون المدني الأهلي نص في المادة ١٢٤ منه على أنه «إذا كان التعهد عبارة عن مبلغ من الدراهم ...» مع أن الدراهم عملة انقرضت من عهد العرب، وهي كلمة يونانية معربة مشتقة من كلمة (Drachma) وكانت تساوي خمسين دانقاً، وأول من ضربها عمر بن الخطاب في السنة الثامنة عشرة من الهجرة. وكذلك نصت المادتان ٥ و ٤١١ من قانون المرافعات الأهلي على غرامة «مائة قرش ديواني» مع أنه اصطلاح يرجع عهده إلى أيام كانت مصر فيها تابعة لتركيا.

ونصت المادة ١٣٥ مدني على أن «لا يكون الإكراه موجباً لبطلان المشارطة إلا إذا كان شديداً بحيث يحصل منه تأثير لذوي التمييز ...» فلماذا لا تستبدل هذه الجملة الأخيرة بتركيب أصح كأن يقال مثلا «بحيث يؤثر في شخص مميز».

وبعدها مباشرة تجيء المادة ١٣٦ تنص على أن «التدليس موجب لعدم صحة الرضا إذا كان رضا المتعاقدين مترتباً على الحيل المستعملة له من المتعاقد الآخر بحيث لولاها لما رضي». والأصح أن يقال: «يفسد التدليس الرضا إذا كانت الحيل المستعملة ضد المتعاقد من الخطر بحيث أنه لولاها لما رضي».

وفي المادة ١٥٠ نص الشارع على أن «كل فعل نشأ عنه ضرر للغير يوجب ملزومية فاعله بتعويض الضرر ...» أليس أخف على السمع وأقرب إلى الصواب أن يقال: «كل من تسبب في إضرار شخص يلزم بتعويض الضرر».

ونصت المادة ٣٣٣ على أنه «يجوز للمحكمة أن تعطي لأجل مرة ميعاداً للمشتري لدفع الثمن مع وضع المبيع تحت الحجز عند الاقتضاء» وعبارة «تحت الحجز» لا يفهم معناها إلا بالرجوع إلى النص الفرنسي، ومنه تبين أن نية الشارع كانت «تحت الحراسة القضائية».

ومثل القانون المدني قانون المرافعات، فقد حشيت مواده بمختلف أغلاط النحو والصرف:

فقد نصت المواد ٧ و ٨ و ١٩ من قانون المرافعات الأهلي ودكريتو ٤ يونيه سنة ١٨٩١ على «مديري الأقاليم» و «نظار الدواوين العمومية» و «نظار الدوائر» و «وكيل الحضرة الخديوية» و «سردار الجيش» و «ممالك الدولة العلية». وهذه كلها أسماء ووظائف وبلاد لا وجود لها الآن.

ونصت الفقرة الخامسة من المادة ٨ على «القطر المصري». وكلمة «قطر» معناها الناحية أو الجانب، وفيها معنى التبعية إلى دولة أخرى. وهي إن شاعت أيام تبعية مصر إلى تركيا فلا يصح استعمالها بعد إعلان استقلالها ... وأجدر بنا أن نستبدلها بكلمة «الدولة

المصرية » أو « المحاكم المصرية » .

ونصت المادة ١٧ على أنه « يزاد على الميعاد يوم لكل مسافة ثمانية ساعات ... » وصوابها « ثماني ساعات » ثم ذكرت « الحكم الصادر له التنبيه » بدل « المعلن إليه » .

وقالت المادة ١٨ : « يصير امتداد الميعاد إلى اليوم الذي بعده » بدل أن تقول « يمتد الميعاد إلى اليوم التالي » .

وأرادت المادة ١٩ أن تقول « مواقيت الشروق » « ميقات الشروق » .

وذكرت المادة ٢٣ « مصاريف المرافعات » وهي تعني « مصاريف الإجراءات » .

وذكرت الفقرة الرابعة من المادة ٢٦ « خصائص قاضي الأمور الجزئية » والصحيح « اختصاص » .

وقالت المادة ٢٨ « الأخصام » وصوابه « الخصوم » ومنه : (وعند الله تجتمع الخصوم) ... خزانة المحكمة » وصوابها « خزانة » وجمعها « خزائن » ... وفي التنزيل : « قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي » .

وجاء في سورة المنافقين : « ولله خزائن السموات والأرض » .

وذكرت الفقرة الثالثة من المادة ٣٤ « شركات السيكورتاه » والصواب « شركات التأمين » كما نصت الفقرة السادسة منها على أنه « يجوز لمن طلب بدعوى كونه ضامنا أن يطلب رؤية الدعوى عليه » وصواب هذه الجملة الأعجمية « يجوز للضامن أن يطلب نظر الدعوى في مواجهته » .

ونصت المادة ٦٨ على « المصالحة بين الأخصام » بدل « الصلح بين الخصوم » .

ونصت المواد ٨٠ و ٨٢ من قانون المرافعات و ٤٣ من قانون تحقيق الجنايات على « جدول مخصوص » و « نظام عمومي » و « نائب عمومي » بدل من « جدول خاص » و « نظام عام » و « نائب عام » .

ونصت المادة ٨٠ مرافعات على « الدعاوى الغير مستعجلة » بدل « الدعاوى غير المستعجلة » كما نصت على أن مثل هذه الدعاوى « يجرى قيدها » بدل « تقيد » .

ونصت المادتان ١٠٦ و ١٤٧ على « دفتر الجلسة » والجلسة ليس لها دفتر بل لها « محضر » .

ونصت المواد ٢٣٠ إلى ٢٤٤ على « مأمورية أهل الخبرة » بدل « مهمة الخبراء » .

وجاء عنوان الفصل الثالث من الباب الثامن من الكتاب الأول « في التماس إعادة الحكم بالمحكمة التي أصدرته » سبع كلمات بدل ثلاث « التماس إعادة النظر » .

وأخيراً يقع القارئ في كل صفحة من كتب الفقه ، وفي كل سطر من أحكام المحاكم على كلمة « مشرّع » مع أن صوابه « شارع » . فيقال شرع لهم شرعاً أي سنّ ... مشروع . وأما شرّع فمعناها بيّن ، يقال شرّع ... والشرع الطريق أي بيّنه ، وشرّع فلاناً في الأمر عوّضه .

ومثل القانون المدني وقانون المرافعات قانون تحقيق الجنايات . فقد نصت المادة ٨ منه على « مشاهدة الجاني متلبساً بالجناية ... » مع أن الجرم لا يكون متلبساً بالجريمة ، بل الجريمة هي التي يكون متلبساً بها .

على أن قانون تحقيق الجنايات نفسه لا ينطبق اسمه على مسماه ، فكان أصح أن يطلق عليه اسم « قانون تحقيق الجرائم » لأنه يشمل المخالفات والجنح والجنايات ، ولم تقتصر أحكامه على الجنايات فحسب .

هذا من الأغلاط اللفظية والعربية . وإليك أغلاط الترجمة . فمثلا ترجم الشارع المادة ٤٤ « جنسية الشرق » بـ « الملة التابع لها الشرق » .

وترجم في المادة ٢٧٣ من قانون العقوبات الأهلي

« بلاغ الزوج » بـ « دعوى الزوج ».

وترجم في المادة ٢٧٥ منه « الشريك في الزنا » بكلمة « الزاني » فخلط بين أحكام الفاعل الأصلي وأحكام الاشتراك.

هذا عن التقليد في شكل القوانين. أما من هذه العملية من جهة الموضوع فهي تتناول حكم المادة لا نصها، ومعناها لا مبناها.

ومن ذلك أن قانون المرافعات وضع أحكاماً غريبة جداً في تقدير المسافة — سواء في داخل الدولة أو في خارجها — وهي إن كانت تساير العصر الذي وضعت فيه إلا أنها لا تتفق مع سهولة طرق المواصلات وسرعتها في أيامنا هذه.

فمثلا نصت المادة ١٧ على احتساب ميعاد المسافة باعتبار يوم من كل ثماني ساعات سيراً (في الأهلي) أو ٤٠ كيلو متراً (في المختلط) ومن كل [illegible] على خمس ساعات أو ٢٥ كيلو متراً [illegible] إذا كان السير بالسكة الحديدية فينقص الميعاد إلى النصف. وعلى هذا يكون ميعاد المسافة بين الإسكندرية والقاهرة ثلاثة أيام باعتبار يومين عن كل ١٦٠ كيلومتراً ويوم ثالث عن الجزء الباقي من المسافة الزائدة على خمسين كيلومتراً.

أما الأشخاص المقيمون خارج الدولة فينطبق عليهم حكم المادة ١٩ التي تنص على أنه يحسب الميعاد باعتبار ستين يوماً بالنسبة إلى تركيا وبلاد سواحل البحر الأبيض المتوسط، ومائة وثمانين يوما لبلاد أوربا الأخرى وموانئ الشرق لغاية سيام وفوقها، وثلاثمائة وستين يوما للبلاد الأخرى. فتأمل!

وكما أن قانون المرافعات ينص على مواعيد طويلة يجب تقصيرها، كذلك ينص على مواعيد قصيرة يجب مدها.

فالمادة ٥٧٦ منه تنص على أنه يجوز للمشترى الراسي عليه المزاد أن يقرر في قلم الكتاب أنه اشترى لذمة شخص آخر في خلال أربع وعشرين ساعة من إيقاع البيع، مع أن المادة ٥٨٦ المقابلة لها في القانون المختلط تمهله ثلاثة أيام.

ولعل أطرف ما في القوانين من مضحكات — وكم في مصر من مضحكات، ولكنه . . . — ما نصت عليه المادة ١٤ من الملحق الثالث من ملاحق قوانين الجيش الصادرة في سنة ١٩١٥ من أنه « إذا رغب أحد الضباط الذين لا يعرفون الكتابة والقراءة أن يتقدم للامتحان لترقيته . . . » فيستصدر ترخيصاً من سردار الجيش، وعند الامتحان التحريري ينضم إليه « كاتب — يكون ملكيا من أمكن — وهذا الكاتب يكتب أجوبة الضابط كلمة كلمة بحسب ما يمليها عليه »! فهل يسوغ أن نبقى مثل هذه المخلفات من عهد الأمية والجهل والحماية، و[illegible] مزدهرة؟!

* * *

أما عملية التطعيم فتنحصر في إيجاد أحكام وترتيب نصوص الحالات التي خلا القانون من بيان حكمها. وفي طليعة هذه الحالات حكم الملكية الأدبية والفنية والصناعية والعلمية.

فقد نصت المادة ١٢ من القانون المدني الأهلي على أنه « يكون الحكم فيما يتعلق بحقوق المؤلف في ملكية مؤلفاته وحقوق الصانع في ملكية مصنوعاته على حسب القانون المخصوص لذلك » وقد انقضت ثمانية وخمسون عاماً على وضع هذا النص ولم يصدر القانون المنشود حتى الآن!

كذلك من المسائل التي تتطلب نصوصاً صريحة في القانون:

— النص في قوانين الأحوال الشخصية على جواز

الحجر على القاصر إذا تحجر قلبه وقست نفسه وشح على أقربائه ، وذلك أسوة بجواز الحجر على المبذر والسفيه ، إذ أن الاثنين لا يحسنان التصرف في أموالهما ولا إدارة شؤونهما .

— النص في قانون العقوبات على وجوب اعتبار الصورية جريمة ، وجعل حكمها حكم النصب ، وعلى وجه أخص النص على اعتبار تغيير الدين أو المذهب أو الملة تخلصاً من زوجة أو فراراً من حكم نفقة جريمة تقع تحت طائلة قانون العقوبات .

— النص في قانون المرافعات على جواز الحكم بشطب العبارات الجارحة بالقضاة والمحامين والمتقاضين وغيرهم من المذكرات والأحكام . والنص على اعتبار الحكم حضورياً بالنسبة إلى الخصم الذي أعلن شخصياً بورقة التكليف بالحضور ، ولو غاب يوم الجلسة . والنص على إعطاء الدائن العادي حق طلب توقيع الحجز التحفظي على منقولات مدينة ، إذا كان بيد [illegible] بغير سند بعد الحصول على إذن القاضي (أسوة بالمالك المؤجر) .

— النص في القانون المدني على تخويل القاضي حق إصدار أمره — والدعوى مطروحة أمامه — باتخاذ الوسائل الوقتية (كتعيين حارس مثلاً والأمر بعدم تصرف المدعى عليه في أملاكه) ضماناً لسهولة تنفيذ الأحكام . والنص على جواز أخذ اختصاص على أملاك المدين بناءً على محاضر تحقيق أو دلائل قوية ، ولو لم يكن بيد الدائن حكم قضائي . والنص على جواز طلب إشهار إفلاس المدين إذا كان مليئاً ، ولكنه تعمد عدم الدفع للإضرار بدائنيه ، وتعيين مصف يتولى إدارة أملاكه وتسديد ديون الدائنين (أسوة بالتاجر) .

— النص في قانون تحقيق الجنايات على جواز رفع جنحة مباشرة : على من أدى يميناً حاسمة كاذبة أسوة بمن يؤدي يميناً متممة كاذبة . والنص على الفصل بين سلطة الاتهام وسلطة التحقيق بجعل الاتهام وتحريك الدعوى العمومية من اختصاص النيابة ، في حين يعهد التحقيق إلى أحد رجال القضاء ، حتى لا يتأثر المحقق من خضوعه إلى سلطة تنفيذية ، ووضع أحكام صريحة في قيمة إرشاد الكلاب البوليسية على المجرمين .

— النص في لائحة ترتيب المحاكم الشرعية على عدم جواز إقامة شخص مقيم في الخارج ناظراً على وقف ، إذ أن مثله لا يمكن أن يدير شؤون الوقف إدارة حسنة . وكذلك النص فيها على اعتبار تحليل الدم دليلاً قاطعاً لنفي البنوة ، إذا ثبت من التحليل أن دم الطفل من فصيلة تخالف دم الأم أو دم الأب الذي يراد نسبة الولد إليه .

* * *

إلى هنا نقف بنا الجولة في حديقة القانون ، وقد اقتطفنا منها طائفة من الأمثلة ، بعضها يتطلب تقليماً وبعضها يستلزم تطعيماً ، حتى يستقيم الزهر ويؤتى الشجر أكله ، إلى أن يتاح للبلاد توحيد قوانينها وتوحيد قضائها ، وهذا لعمري يكون خير تقليم وخير تطعيم .

جميل خانكي

نظرة فى كتب النحو

للأستاذ طه الراوى

[الأستاذ طه الراوى ، علم من أعلام اللغة والأدب فى العراق ، وأستاذ محقق ، عرفه كثير من أدباء البلاد العربية . لم يرد بغداد من يمت إلى الأدب بصلة ، إلا مت إليه الأستاذ الراوى بصلات من علمه وأدبه وخلقه الكريم .

وللأستاذ أبحاث قيمة فى اللغة والنحو ، نشر بعضها فى مجلة المجمع العلمى العربى . وقد أرسل إلينا هذا البحث المختصر الذى ننشره اليوم شاكرين له ، راجين أن تتوالى علينا مقالاته] .

لا نريد فى هذا المقام أن نمعن فى الاستقراء والاستقصاء ، وكل ما نرمى إليه أن نلقى نظرة عجلى على جمهرة الكتب التى اتخذ منها المعاصرون مناهج لدراسة النحو فى المدرسة القديمة أو الحديثة ، ونشير إلى بعض العاهات التى منيت بها ، وقعدت من قاصدها ... ناشئة العصر ، بل قللت الانتفاع بها إلا بعد الجهد ... والإسراف فى الوقت . ويمكن إجمال البارز من تلك العاهات فى النقاط التالية :

١ — الإيجاز المجحف إلى حد الإخلال بالمقصود ولا سيما فى المتون التى وضعها المتأخرون ، وفى مقدمتهم الإمامان أبو عمرو عثمان بن الحاجب ، وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك . وقد تبارى المؤلفون فى هذا الشأن ولا تبارى الفرسان فى مضمار الرهان يشحنون المعانى ويحشون الألفاظ حتى تصاب بالهزال والبهر ، فلا تقوى على حمل ما أثقلت به من المعانى ، فتحور إلى طلاسم ومعميات يتعذر على الطلبة الاستقلال بحل رموزها إلا بعد النزع إلى الشارح ، ويتعسر على هؤلاء الكشف عن غوامضها إلا بعد الرجوع إلى الشروح والحواشى والتعاليق . وقد نعى العلامة ابن خلدون على القوم طريقتهم هذه ، وأفرد لذلك فصلاً خاصاً فى مقدمة تأريخه قال فيه : « وهو فساد فى التعليم ، وفيه إخلال فى التحصيل » وقال : « قصدوا إلى تسهيل الحفظ على المتعلمين فأركبوهم صعباً يقطعهم عن تحصيل الملكات النافعة وتمكنها » .

ومسألة الحفظ هذه كانت أولى الغايات وآخرها فى هذه المعضلة ، يجورون على العبارة كل الجور فى التقتير والتقدير ليسهل على الحافظة ازدرادها ، ولا يهمهم أن العلوم إنما تطلب لتفهم وترسخ ملكاتها فى العقول : وأما الحفظ المجرد من الفهم بل الهضم فإنه أكثر من نفعه ، وضرره فى الذهن لا يقل عن الأضرار التى تصيب المعدة من جراء الأطعمة التى تتدفق فيها من غير مضغ وتحليل . وإن استظهار الألفاظ قبل تحديد معانيها الصحيحة فى الذهن تحديداً واضحاً يلجئ الذهن — بعد الحيرة — إلى خلق معان لها قد تكون قصية عن المقصود ، ولكنها تأخذ فى الذهن مكانها وتستقر فيه ، ويعسر بعد ذلك على المعانى الصحيحة ... واحتلال مكانها ، فيحصل من هذا التدافع عوامل ذهنية يستعصى على أطبة النفوس استئصالها .

ولهذا نرى علماء النفس يشددون النكير على من يعلم الطفل لفظاً قبل تحديد معناه فى ذهنه تحديداً واضحاً ، ويستعينون على ذلك بالمحسوسات أو ما يقرب منها . ومن ثم ذهب بعض الأعلام من أوائلنا إلى أنه لا ينبغى أن يؤخذ الأحداث بحفظ القرآن الكريم إلا بعد أن يستعدوا لفهمه بتقديم دراسات أخرى . قال أبو بكر بن العربى : « يا غفلة أهل بلادنا فى أن يؤخذ الصبى بكتاب الله فى أول أمره ، يقرأ ما لا يفهم » وقد استحسن العلامة ابن خلدون هذا المذهب وإن اعتذر لتطبيقه بحكم العادة .

٢ — عدم التدرج فى ترتيب المسائل ورصف

القواعد ، فتراهم كثيراً يستعينون بالمجهول لايضاح مجهول مثله ، فيقولون — مثلاً — « المعرب هو المركب الذي لم يشبه مبنيّ الأصل » مع أن الطالب لم يعرف المبني الذي فضلاً عن مبني الأصل . وإذا سأل عن المبني قيل له : « هو المركب الذي أشبه مبني الأصل » . ويقولون — مثلاً — « الرفع علم الفاعلية ، والنصب علم المفعولية ، والجر علم الاضافة . . . » مع أن الطالب لم يعرف شيئاً بعد من أمر الفاعلية والمفعولية والاضافة ، ومعرفة ذلك كله تتوقف على ذكر الكثير من الفصول والأبواب .

وهكذا يجد الطالب نفسه تجاه مجهولات تتكاثر وتتكاثف ، وغوامض تتراصّ وتتراكب ، فلا يقوى على تذليلها إلاّ إذا رزق صبراً ومِراناً ، وقيض الله له شيخاً بارعاً يعرض أمامه سلسلة من المقدمات كثيرة الحلقات ، ثم لا يصل إلى المقصود إلاّ بعد جهد جهيد .

ولا ينكر أن بعض المؤلفين الأقدمين قد حاولوا التسهيل على المبتدئين ، فلا ينتقل إلى المجهول — غالباً — إلاّ بعد أن يمهد له بمعلومات أو يقربه من قرب ليصل بالطالب إلى غرضه من أقصر الطرق وأيسرها ؛ ويذكر في مقدمة هؤلاء الأفذاذ أبو عبد الله محمد بن محمد الصنهاجي صاحب المقدمة المعروفة بالآجرومية ، فانه اختصر فيها على اللباب وقلل من استعمال المجهولات في إيضاح المجهولات ، وذكر بعض الأبحاث بأكثر من أسلوب لترسيخها في الفهم ، ومشى في كثير من المسائل على مذهب الكوفية — مع أنه مرجوح عند المغاربة والمشارقة من نحاة عصره — تسهيلاً على المبتدئين من المتعلمين ، لأن مذهب الكوفية في هذه المسائل أقرب تناولاً إلى أفهامهم من مذهب البصرية .

ولكنّ الشراح والمحشين لم يأبهوا لهذه المزايا ولا حسبوا لها حساباً ، فأحاطوها بما ذهب بفوائدها وعفّى على آثارها من غوامض المسائل وغريب المباحث .

أذكر أنني في مفتتح دراستي العربية أخذت هذه المقدمة (الآجرومية) وجلست إلى الشيخ لأقرأ ، فقال لي : إن المتن المجرد من الاعراب لا يفيدك الفائدة المطلوبة ، وأخرج لي نسخة مخطوطة تشتمل الصفحة منها على أسطر قليلة ذات كلمات متباعدة ، موشحة بتعاليق كثيرة ، على أوضاع شاذة وبأشكال مختلفة ، فأمطلنيها واندفع بسرده في متن البسملة بكلام طويل عريض لم أفهم منه إلاّ القليل ، وأسرف باستظهار إعرابها : « الباء حرف جر ، واسم اسم مجرور بالباء ، وعلامة جره كسرة ظاهرة في آخره ، والجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره أبتدئ أو ابتدائي ، وهو مضاف والله الجلالة مضاف إليه وهو مجرور بالاضافة » الخ .

وكان اليوم التالي ، وكان الموضوع (الكلام) فاندفع يشرح لي معناه عند اللغويين والفقهاء والمتكلمين ثم النحويين ، ومعنى من أكثره ، ثم أسرف باستظهار الكلام تعريفه وإعرابه : « الكلام مبتدأ مرفوع بالابتداء — على الأصح — وعلامة رفعه ضمة ظاهرة في آخره (هو) ضمير فصل لا محل له من الاعراب » الخ .

وهكذا وجدتني تجاه ضباب زاخر بمصطلحات لا أعرف لها أولاً ولا آخراً . الحرف ، الاسم ، الجر ، المجرور ، المتعلق ، المحذوف ، المضاف ، المضاف إليه ، الإضافة ، النعت ، التبعية ، المبتدأ ، الابتداء ، الرفع ، المرفوع ، ضمير الفصل ، الاعراب . . الخ . ألفاظ اشتغل ذهني في أن يعرض لها معاني ، فأخذ يصوغ ويكسر ، وبعد جهد جاهد لم يحصل إلاّ على الجمجمة والترجيم .

فتركت إلى شرح أستعين به فوقع في يدي شرح الشيخ خالد الأزهري ، ونظرت فيه ، وإذا بي تجاه معان كل جديدة : جنس ، فصل ، وضع نوعي ، وضع شخصي ، إلى أشياء من هذا القبيل ، لا يدركها إلاّ من ضرب

بهم في العربية وعلوم أخرى. والأخير هداني التساؤل إلى شيخ نبيه، فأرشدني إلى الاقتصار على فهم المتن وحده، ثم الرجوع إلى شرح مختصر مقصور على إيضاح المراد بأسهل العبارات. والذي يظهر لنا أن الكثير من تلك المؤلفات وضعها مؤلفوها لتلاميذهم وكانوا يقدرونها على استعدادهم ومؤهلاتهم تقديراً، فإذا أراد آخرون لم تتوفر فيهم تلك المؤهلات أن يقتطفوا مثل ما اقتطف أولئك من ثمارها أعياهم ذلك.

وما قولك أن جمهرة المؤلفين في هذا الشأن من المعاصرين — على شدة عنايتهم في صقل مؤلفاتهم — ذهلوا عن هذا الأمر، ووقعوا في المحظور التعليمي الذي وقع فيه من سبقهم، مع أنهم وضعوا كتبهم لتلاميذ لم تكن صنعة العربية من وقتهم وعنايتهم إلا قليلاً، فكان عليهم ألا يدخروا وسعاً في التهذيب وحسن الترتيب والتبويب. تجدهم يقولون — في مسائل [illegible] «الفعل المتعدي هو الذي ينصب المفعول به، والفعل المعلوم هو الذي يذكر فاعله» مع أن الطالب لم يعرف بعد شيئاً من أمر: النصب، والمفعول به، والفاعل، وتفهيمها يتوقف على دراسة أبواب لم تزل مطوية في ناصية المستقبل.

يقال: ما العمل والأمر يقضي بإيضاح تلك المسائل، والإيضاح يتوقف على الاستعانة بهذه المصطلحات، وإن لم يجر ذكرها بعد. فالجواب أنه لا يجوز التعرض لإيضاح مسألة ما إلا بعد إعداد الذهن لها. وتوضيح العناصر اللازمة لإيضاحها قبل الإقدام عليه. فلا يبحث عن المتعدي واللازم مثلاً إلا بعد معرفة النصب والفاعل، ولا عن المعلوم والمجهول، إلا بعد معرفة الفاعل وما ينوب عنه.

والجملة فإنه لا تجوز الاستنارة بمجهول لمعرفة مجهول آخر، بل يجب أن تكون الاستنارة بالمعلومات وحدها.

٣ — الخلط بين مسائل هذا العلم ومسائل من علوم أخرى لا تمس الحاجة إليها، وليس في مقدور الطالب إساغتها وإدراك ما وراءها؛ وهذا ديدن المتأخرين من الشراح والمحشين. مثال ذلك قول الشيخ خالد الأزهري في شرحه على الآجرومية: «والصحيح أن الكلام موضوع بالوضع النوعي»، ومن أين للمبتدئ أن يدرك مسألة كهذه عجز فحول علماء الوضع والأصول عن حلها حلاً نهائياً، وقول الشيخ المذكور في شرح أزهريته: «والمفرد ثلاثة أقسام: اسم وفعل وحرف، لأنه لا يخلو إما أن يستقل بالمفهومية أولا. الثاني الحرف، والأول إما أن يدل بهيئته على أحد الأزمنة الثلاثة أولا، الثاني الاسم والأول الفعل. والتقسيم حقيقي يمنع الجمع والخلو، وقد ميز ذلك عن كل واحد منها للإحاطة بالمشترك وهو [illegible] كل واحد من الآخر، وهو الفصل» اهـ [illegible] في كلام مغلق لا يعقله إلا من ضرب في علم المنطق بنصيب، وأنى للطالب المبتدئ ذلك! وفي مثل هذا الموطن يقول شارح القطر: «فإن علماء هذا الفن تتبعوا كلام العرب» ... الخ فينطلق المحشي يشرح لفظ العرب واشتقاقه، وجموعه، ومن هم العرب وأقسامهم ... الخ، مما لا مساس له في الموضوع. ويأتي ذاك الشارح في باب العطف بشاهد على أن حتى لا تفيد الترتيب، وهو الحديث المأثور: «كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس»، فينطلق المحشي يوضح حقيقة القضاء والقدر وما بينهما من فرق أو عدمه، ويسرد في ذلك آراء المتكلمين من أهل المذاهب المختلفة. وأمثال هذا أكثر من أن يحاط بها.

٤ — عدم الموازنة بين مقدرة الطالب وما يحشد له من عويص المسائل ومبهمها، فإنك إذا تصفحت «مبادئ»

الكتب التي وضعها المتأخرون للمبتدئين من التعقيد نجد فيها معضلات المسائل محشورة إلى جانب السهل منها.

٥ — حشد القيود الكثيرة، والرموز العديدة، في العبارة القصيرة، ولا سيما في التعاريف، مما يعسر بل يتعذر على الطالب تجلية تلك القيود واستخلاص المراد من كل منها.

٦ — المناقشة على الألفاظ مما لا يعود إلى جوهر العلم بفائدة، وهذا أمر مُنيت به البلوى في معظم كتب المتأخرين «لِمَ قدم هذه الكلمة وأخر تلك، ولِمَ استعمل هذه الصيغة ولم يستعمل تلك، ولِمَ استعمل هذه اللفظة دون تلك، ولِمَ ولِمَ ؟!».

٧ — التوسع في النظريات التي لا يجني الطالب من ورائها فائدة عملية، مثل تنازعهم في إعراب جمع المذكر السالم هل هو بالحرف أو بالحركة المقدرة، وكذلك أقوالهم في إعراب الأسماء الخمسة أو الستة، فقد ذهبت الأقوال في ذلك إلى نحو العشرين، وتنازعهم في الاسم المضاف إلى ياء المتكلم مجرور بالكسرة المقدرة أو الظاهرة، وأمثال ذلك كثير مما ينبغي أن يكون محله المطولات من كتب القوم دون المختصرات التي توضع للمبتدئين من الطلبة.

٨ — الاقتصار على الأمثلة الجافة المكررة، وإهمال المهم من الشواهد التي هي مادة الكلام وعمدة التكلم؛ ولذلك نجد أن كتب ابن هشام من أنفع الكتب المصنفة في هذا الشأن في هذه الناحية لما اشتمل عليه من الآيات الكثيرة والأحاديث الشريفة، والأمثال السائرة والأبيات المنتزعة. وأبعد الكتب من هذه الطريقة كتب الأعاجم مثل الإظهار للبركوي، وشرح الملا جامي على الكافية، ولذلك نجدها قليلة الجدوى يقرؤها الطالب وكأنه لم يقرأها. والشواهد أثر بليغ في تكوين ملكة البلاغة عند الطالب، ولذلك نجد كتب الأقدمين غاصة بها، وأقرب مثال في ذلك كتاب سيبويه، فإنه يشتمل على أكثر من ألف بيت من الشعر، وعلى مئات الآيات والأمثال وعيون الأقوال.

وهذه كتب الشواهد بين أيدينا تستمد منها الكثير من الفوائد. ولقد كتب أحد علماء المائة الثامنة شرحاً ممتعاً على كافية ابن الحاجب شحنه بالشواهد والفوائد، فجاء الشيخ عبد القادر البغدادي وشرح تلك الشواهد في كتابه المسمى (خزانة الأدب) شحنها بالفوائد الأدبية والفرائد اللغوية والنوادر النحوية والصرفية إلى غير ذلك مما يسمو بالطالب إلى المستوى الرفيع.

وقد حاول بعض المعاصرين التأليف في هذا العلم، وحاولوا تجريد مؤلفاتهم من العاهات التي يتوه بها بعض الكتب المتداولة فيه، ولكن أكثرهم وقف دون الغاية وعجز عن إتمام المحاولة، ولا تزال الهمم مصروفة إلى معالجة هذه الناحية، وعلى الله قصد السبيل.

طه الراوي

صاحب امتياز المجلة

رئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر

أحمد أمين بك

رئيس التحرير المسئول

محمد عبد الواحد خلاف

الاشتراك لسنة أشهر

٦٠	في مصر والسودان
٢٥	للطلبة ومعلمي الإلزام
٤٠	في الممالك الملحقة ضمن اتحاد البريد
٥٠	في الممالك الخارجة عن اتحاد البريد

ثمن العدد ٦ مليم

أعيان الجيل

[لون من ألوان الأدب يوشك أن ينقرض ...]

للأستاذ محمد سعيد العريان

... انفضَّ المجلس أو كاد، وأخذ الساهرون ينسلّون واحداً واحداً ومثنى مثنى، وخلا المكان إلاّ واحداً هنا وواحداً هناك، وإلا صدى تلك المناقشات الحامية التي كانت تتجاوب بها جدران الغرفة الفسيحة منذ قريب!

ورحت أستعيد في خيالي صورة هذه الجلسة الشتية الفريدة، وما ضمّت من ذوي القوة والجاه والنفوذ في دوائر الفن والأدب، ودوائر العلم والمال، ودوائر الرأي والسياسة؛ فإذا الصور تتزاحم في رأسي، وإذا الذكريات تتوالى على خاطري، وإذا سؤالٌ [illegible]:

«هل بلغت الأمة العربية في يوم من أيامها من الغنى بالرجال ما بلغت اليوم؟»

أعني: هل اجتمع لها قبل اليوم في جيل واحد من ذوي الأخطار والمواهب ما اجتمع لها اليوم؟

ولست أحب أن يسبق إلى وهم أحد أني أزعم أن الأمة العربية اليوم أرقى منها في كل ما مضى من عصور التاريخ؛ فذلك وهم لا يستند إلى برهان صحيح؛ على أنه مع ذلك ليس هناك تناقض البتة بين هذا الذي أنكره وذاك الذي أدّعيه؛ فقد تكون أمة من الأمم غنية بالرجال ذوي الأخطار والمواهب إلى درجة لا يسبقها فيها سابق، وهي مع ذلك متخلفة في ميدان الحضارة؛ وعلى العكس من ذلك قد تكون الأمة عالية في تاريخ الجيل تقدماً وتحضراً، ولا يشتهر فيها مع ذلك عظيم مبرّز متفرّد!

بل إني لأزعم أن الأمة في أول خطاها إلى التاريخ تكون أغنى بالرجال المبرّزين، من الأمة التي بلغت آخر الشوط وانتهت إلى الغاية ...

وأعود ثانية إلى سؤالي ...

... ولست أغلو في القول، أو أتجنّف الحقيقة، لو قلت إن الأمة العربية اليوم لم يجتمع لها في جيل واحد من تاريخها الطويل ما اجتمع لها اليوم من ذوي الكفايات البارزة والمواهب الفذة؛ فحيثما نظر الناظر، هنا أو هناك، لمعت لعينيه أضواء باهرة لرجال ذوي أخطار لم يجتمع مثلهم في زمان ولا في مكان على طول تاريخ الأمة العربية الحافل!

هذه الصور اللامعة لهؤلاء الزعماء والقادة، ماذا يدّخر التاريخ منها في يومه لغده؟

أعني: هذه الصور التي نراها لزعمائنا وقادتنا، وهذه الأحاديث التي نتناقلها عنهم في مجالسنا وسهراتنا، وتلك الطرائف التي تتفق لهم في حياتهم فتضحكنا [illegible]، وتلك الخبرات الخاصة التي [illegible] في بيوتهم وبين خاصتهم، فينكشفون لأنفسهم وتنكشف لنا أنفسهم، وتلك [illegible]، أو [illegible]، التي نتشارك الفضوليين في تتبعها والبحث عن حوافزها وملابساتها، فنعرف منها ما نرويه ونتحدث به في مجالسنا ...

... هذه، وهذه، وتلك، وأولئك — ماذا يعرف منها التاريخ في غد؟

ماذا يعرف طالب الأدب بعد خمسين سنة من «طه حسين» إلا كتب «طه حسين»؟ وماذا يعرف من العقاد إلا كتب العقاد؟ وماذا يعرف من فلان وفلان إلا كتب فلان وفلان؟

وماذا تغني كتب الشاعر أو الأديب في دراسة الشاعر أو الأديب، إذا كانت حياتهما الخاصة سرّاً في ضمير التاريخ؟

ماذا يكتب مؤرخو الأدب اليوم عن المنفلوطي ، والمويلحي ، والرصفي ، وعن الكاظمي ، وحافظ ، وشوقي ؟

هل تراهم يكتبون عنه إلا : وُلد سنة كذا ، ومات سنة كذا ، وقال . . . . ، ثم قال . . . . ؟

وأين هذا من حياة المنفلوطي ، والمويلحي ، والرصفي ، وحياة الكاظمي ، وحافظ ، وشوقي ؟

أين حياتهم الخاصة ؟ أين صلاتهم بالناس ؟ أين فقرهم وغناهم ؟ أين تقلُّب أحداث الحياة بهم ؟ أين ما أحبوا وما كرهوا ؟ أين ما علموا وما لبسوا ؟ أين ما لقوا في حياتهم من أزمات ؟ أين ما اعترض سبيلهم من عقبات ؟

هل يغني عن كل أولئك في دراسة الشاعر أو الأديب أن يُعرف يوم مولده ويوم وفاته ، وما كتب ونظم من شعر ونثر ؟

لقد حاولنا منذ سنوات أن [illegible] نجدد فيه أدبه ونخلد ذكره ، [illegible] مهلكه ؛ والمتنبي شاعر الأمة العربية كلها غير مدافع ؛ ولكن أساتذتنا وأدباءنا وأهل البحث والنظر منا لم يتفق منهم اثنان على نسب للمتنبي ونشأته ؛ فقال واحد : هو لقيط دعيّ ، وقال آخر : هو شريف علوي ، وقال ثالث : . . . .

. . . وبكينا واستبكينا ، وقلنا : ما كان أعقلهم في عصور الجهل والانحطاط عن القيام بحق العلم ، إذ غفلوا عن تدوين تاريخ المعاصرين من الأعيان والأدباء ! . . .

فأين ما دوَّنا نحن ، في عصر العلم والنور ، من تاريخ هذا الجيل الذي نعيش فيه ؟

***

على أن السابقين من آبائنا كانت لهم عناية بهذا الفن محمودة النظير ، ولا أحسب أمة من الأمم قد اجتمع لها في « تاريخ الرجال » ما اجتمع للأمة العربية ، حتى إن لكل طائفة من الناس معجماً يثبت من تاريخهم ما يروي الحاجة إليه ؛ فثمة الكتب الكثيرة في طبقات الصحابة ، وطبقات الرواة ، وطبقات الفقهاء ، وطبقات النحاة ، وطبقات الشعراء ، وطبقات الأطباء ، إلى عشرات وعشرات من هذا الباب .

ثم انظر « وفيات الأعيان » و « معجم الأدباء » وما تسلسل منهما وانبنى عليهما من كتب التراجم العامة التي جمعت فأوعت من تاريخ الأعيان والأدباء وذوي الشهرة والامتياز .

والحق الذي لا جدال فيه أن « عصور الجهل والانحطاط » كانت أكثر منا عناية بحق التاريخ ؛ وإذا كان مؤلفوه القدماء قد أغفلوا أشياء لها أثر في الدراسات العلمية ولكن ليس مقدوراً عند القدماء ، فإنه من الغبن أن [illegible] الناس أسلوباً من التفكير لم تكن [illegible] ؛ فلا على القدماء ما أغفلوا من أشياء كانوا يجهلون قدرها ؛ ولكن ما عذرنا نحن اليوم ؟

أليس عجيباً أن يكون هذا الفن العظيم — فن التراجم — موضع عناية علمائنا ومؤرخينا منذ المائة الثانية للهجرة إلى أمس القريب ، ثم لا يوشك أن ينقرض إلا في هذا الجيل الذي يزعم أهله أنهم قد بلغوا من الإعجاب بالحق منزلة تسمح لهم أن يعرضوا الورق عراة على أعين الناس في صناديق من زجاج !

أليس يدعو إلى الدهشة أن يتسلسل هذا الفن منذ المائة الثانية ، يبني لاحق على سابق ، ويزيد في السلسلة حلقة بعد حلقة ، حتى إذا انتهى إلينا لم نجد من مظاهر العناية به في عصرنا إلا كتابين : نشر أحدهما المرحوم تيمور باشا ، يترجم فيه بضعة عشر من خلالة وصفوة

ورواد مجالسه ؛ وطوى الثاني المرحوم عبد الوهاب النجار على فتوته وآلائه !

على أن ثمة كتباً عدة من إنشاء هذا الجيل لترجمة حياة بعض المعاصرين ؛ فهنالك «حياة الرافعي» ، ومذكرات الجزيري عن سعد ، وسعد زغلول للعقاد ، وكتاب شكيب أرسلان في شوقي ، وكتاب ميخائيل نعيمة في جبران ؛ وهنالك مذكرات شفيق باشا ، و «في المرآة» للبشري ، وغيرها .

ولكن هذه كلها تراجم آحاد لا تغني كبير غناء في التعريف بأعيان هذا الجيل !

* * *

هأنذا أعرض طائفتين من أعيان هذا الجيل بأعمالهم : أما إحداهما فقد انطوى تاريخها في الأرض منذ حين ، ولكن صداها ما زال يرن في آذان المشرقين ؛ وأما الأخرى فما تزال بين سمع الدنيا وبصرها موفورة دائبة . . .

. . . هأنذا أعرض هاتين الطائفتين ثم أتساءل : ماذا يعرف الناس عنهم ويتحدثون به في مجالسهم وأندية سمرهم ؟ ثم ماذا يعرف التاريخ ويأثر من هذه الأحاديث ؟

ماذا يعرف الناس عن الكاظمي ، والزهاوي ، وحفني ناصف ، وإمام العبد ؛ وعن طاهر الجزائري ، والشنقيطي ، والمرصفي ، واليازجي ؛ ثم عن الحامي ، والحلبي ، وزيدان ، ومترى ، وسركيس ؟

أليس هؤلاء أساطين من دعائم القوة الأدبية في هذا الجيل ؟

بلى ؛ وقد كانوا أحياء معاصرين ، وكانت لهم أخبار ونوادر ، ومفارقات وأقاصيص ، ومآثر ومباذل ، يتداولها المعاصرون للهو والتسلية ، وإن لها لشأناً حين يقتضينا حق الأدب أن ندرس تاريخ هذا الجيل ودعائمه والمؤثرات فيه ؛ فماذا نقول يومئذ ؟

إن الذي ينبغي أن نقوله يومئذ قد بدأ يتسرب من أيدينا ويتبخر من رءوسنا ، لأنه تاريخ غير مكتوب ؛ فهل بقي بعدُ إلا الكتاب والديوان ؟ . . . ولكن أين الرجل ؟ . . . أين الإنسان الذي يكشف لي عن معاني الكتاب ومعاني الديوان ؟

وا أسفا ! لقد مات الشعر والشاعر ؛ فما هنا شعر يترجم عن عاطفة ، ولكنه صدى لحن خافت تحمله الريح إلى مكان سحيق !

هذه طائفة قد طواها جيلها في مدارج النسيان ، وليس بيننا وبين ماضيها القريب إلا سنوات ، وأما الطائفة الأخرى . . .

ها نحن أولاء ما نزال نعيش في الأحياء ، وما زال حديثنا رطباً على شفاه الناس يترجم عن معانينا ويكشف عن ذوات أنفسنا ، وما زالت حياتنا حلوة تتراءى على أعين الناس فيرون منها ما لا نكاد نعرف ؛ وما زلنا إلى ذلك نقول شعراً ونكتب أدباً يفهمهما الناس على ضوء ما يعرفوننا أو يعرفون منا ؛ ولكننا غداً تاريخ من التاريخ ، فمن لي بأن يعرفني القارئ غداً عرفاناً أتراءى به قلباً لقلب ، وتتكاشف نفساً لنفس ، فيقرأ آثاري الأدبية — بعدي — وكأني جالس إليه أحدثه حديثي وأبثه نجواي ، وبيني وبينه اختلاجة العاطفة ونبض الشعور ؟

من لي بأن يقرأ الناس غداً كتاب «الأيام» فيعرفوا مؤلفه وصاحبَ خبره ؛ ويقرءوا «سارة» فيعرفوا عاشقها وصاحب نجواها ؛ ويطالعوا «أغاني الكوخ» فيعرفوا شاعرها وأين وقع أغانيه ؟

* * *

ولست أعني رجال الأدب حسْبُ حين أتحدث عن أعيان الجيل ؛ فقد قلت في صدر هذا الحديث : إن الأمة العربية لم يجتمع لها في يوم من أيامها ما اجتمع لها اليوم

نسائيات:

في ظلال الذكريات

ما كنت أحسب يوم أن أهبت بالكاتبة النابغة « مي » أن تعود من جديد إلى ميدان الإبداع الفكري، في أول مقال كتبته تحت هذا العنوان على صفحات هذه المجلة — ما كنت أحسب يوماً أن الموت يناديها، وأنها ستلبي النداء؟!

وما دار بخلدي أن روض الأدب سيقفر جنباته من نغمات البلبل الصداح الذي طالما أطرب العقول والأرواح، وهو يغرد بأناشيد البيان السحري، الذي أسلم قياده لخيال « مي »، وامتازت به حتى احتلت الذروة لا في الشرق وحده، ولكن في الغرب كذلك . . .

لقد عرفت (مي) سر البسمات والشجو [illegible] في خبايا الضلوع، وعشقت بأشعة ملئها [illegible] البؤس، فانعكست خفايا البشرية على مرآة عقلها، فخلقت لنا أدق الصور بأرق أسلوب وأمتن تعبير!!

كم نامت أمواج الثائر بيان الآنسة « مي »، وكم ازدانت صدور الصحف بقلائد دررها الفكرية الغالية! وكم أذكت قرائح، وحركت عقولاً، ودفعت بجملة أقلام إلى اقتحام ميدان الجد والنضال؟!

إن الثغرة الفكرية الهائلة التي خلفتها « مي » عنوتها في الشرق العربي لن تسد، لأن الدنيا القاهرة أضن وأشح ما تكون بسد الثغرات . . . !!

وهل تنسى العقول الممتازة أدب (مي) وقد كان رمز السمو ومن ينبوع الوجدان ؟؟

لقد كانت تلك النابغة فلتة الزمن، ومفخرة من مفاخر النهضة الأدبية في مصر، وكانت دوحة فينانة في روضة الأدب، وكانت بطلة جبارة في ميدان [illegible] [illegible]

لقد ماتت في عمر الزهور، بعد أن عطرت أرجاء

من ذوي القوة والجاه والنفوذ في دوائر الفن والأدب، ودوائر العلم والمال، ودوائر الرأي والسياسة؛ وسيطوي هذا الجيل في معارج النسيان كما انطوى جيل سبق، فلا يكاد التاريخ يذكر شيئاً بعدُ عن فلان وفلان وفلان، وإنهم اليوم ليُملون على التاريخ ما يقول!

ولعله من العجيب أن يكون إغفال الأدباء هذا الباب في الوقت الذي بدأت فيه القصة تأخذ مكانها في الأدب الجديد، وبدأ الناس يُقبلون عليها، وبدأ الكتاب يجوّدونها ويفتنّون فيها.

والقصة والترجمة الشخصية صنوان، بل لو أنهما على مائدة، تهفو النفس إلى كلتيهما على قدر مشترك؛ وبينهما من التشابه ما يكمل من أحدهما نقص الآخر؛ ويكاد الفرق يكون معدوماً بين القصة التاريخية في بعض صورها وبين الترجمة الشخصية؛ ولقد يعمد القاص الفنان إلى خبر نافه في ترجمة إنسان فيتخذه نواة يبني منها قصة تصبح لها الدنيا؛ ولقد يعمد المؤرخ الصادق الحس إلى قصة من قصص التاريخ فيتخذها مصباحاً بيديه ورائداً يذلل له سبيله.

فكيف وقع — والصلة بين هذين الفنين هي ما ذكرت — أن ينشط أحدهما ويخمل الآخر؟ ما سببه وما علاجه؟ . . .

أما سبب ذلك وعلاجه فذلك أعود إليه في مقال آت إن شاء الله.

محمد سعيد العريان

الشرق بنفحاتها الوجدانية ، وأثملت النفوس بسكر حلاوة أسلوبها ، ورقة تعبيرها ؛ ثم غابت من دنيا الناس كما تغيب أطياف الهوى عقب الأحلام . . .

لقد فارقت شمسها الفلك الأزرق على غير ميعاد ، فتركت الغصة للقلوب ، واحترق الشكل بنار الفراق ، وتجرع لوعة البين .

ما أقسى موت البطل وهو في حومة المعركة ! وما أقل نصيب حملة الأقلام في مصر !

إن النهاية المحزنة التي تنتظر الشعر الشجي ، وتصبغ الدنيا بلون السواد .

لقد سبق (مي) عائشة التيمورية وباحثة البادية ، فهل خلدتهما مصر بإطلاق اسميهما على شارعين ؟

وهذه (مي زيادة) وقد كانت تسرب في عالم الفكر ملء الأسماع والقلوب ، فماذا سيكون نصيبها من التخليد من أبناء مصر والشام ؟

لا شيء غير كلمات تنشر ، وعشرات [illegible] ذكرى (مي) كما انطوت ذكريات من سبقتها إلى دار الخلود والجزاء !

ترى ماذا كان الحال لو أن الأديبة (مي) لم تكن تملك تلك الثروة التي جرت عليها ونصبت حولها شراك الغدر والكيد وهي تقاسي نوبات الأمراض ؟

ترى ماذا عساه أن يكون حالها لو أنها كانت معدمة لا تملك غير سن القلم والعقل الجبار ، وقد قعد بها المرض كل هذه المدة ؟

أتراها كانت تستجدي الأكف ، وهي تلك الأبية الأنوف ؟

لقد لطف الله بها رحمها الله ، إذ سخر لها المال عند اعتلال الصحة ، وجنبها بذلك ذل الفقر وعنت الفاقة بجانب آلام المرض وغوائل الأسقام ...

لقد تركت « مي » العالم وهو أتون من نار ، وتركت العالم وشياطين الحرب والدمار ترقص رقصاتها النارية على أنين الجرحى وحشرجة الأموات . . .

ذهبت إلى جوار ربها راضية مرضية قبل أن تشهد المجازر البشرية تقترب من الشرق الوديع ، فأراحها الله من شهود الأوصال والأشلاء . . . !

في ذمة الله يا أنبغ كاتبة عاشت في كنف العفاف وفي ظل الفضيلة ، وبعدت بعواطفها عن مواطن الزلل والسقوط . في ذمة الله يا خير من حمل القلم ، فلم تستخدمه إلا فيما ينفع الإنسانية من الخلال والصفات . في ذمة الله يا خير من تحكمت في المعاني وملكت ناصية البيان ، فكانت أم الخطابة المفوهة وأم الكتابة التي يفخر بها القرطاس . في ذمة الله يا ربيبة الشرف وأم [illegible] بنات وادي النيل ووادي [illegible] كرك التاريخ يوم تنشر صفحات من عشق الفضيلة والعفاف . . . ستظل سيرة حياتك الحافلة نبراساً [illegible] طريق الطهر والخلود .

[illegible] إنك تعانين اليوم تنادي في الخلد ، [illegible] الإنسانية ومبدئي الشعوب . إنك [illegible] فناء رغم ما لحق به أنفسنا [illegible] بقاء الذكرى والخلود . . . !

إنه ليشق علي أن أضع القلم وأطوي الصحيفة وأنا لم أصل في رثائك يا ربة البيان إلى بعض ما كنت أريد ! ولكن ما حيلتي والأيام الحالكة السواد تأبى إلا أن تقيد الأقلام وتكبلها بالأغلال والقيود . . .

أنا بعد هذا جهد المقل . ولو كان الأمر بيدي لأسهبت الآن في رثائك صفحات ، ولكن ما فائدة ما يقال في دنيا الفناء ، وقد من الله عليك بانتقالك إلى دار البقاء ؟

ألا فاهنئي برقادك الكريم في عالم الراحة الأبدية والهدوء الذي لا يعكره صخب ولا ضجيج . وانتظري [illegible] نفحات الرحمة . . . وتلك الدعوات الصالحات من أختك .

نعيمة محمد وصفي

نقد وتعقيب :

عوامل خفيـــة

وجه الحركة النسائية في الغرب

هذا هو عنوان المقال الذي نشر في مجلة « الإذاعة » الغراء للكاتبة القديرة الآنسة عائشة عبد الرحمن .

وقد بدت لي بعض الملاحظات على فكرة المقال على وجه العموم ، وأخرى على بعض التفصيلات فيه على وجه الخصوص ، ثم رأيت أن أذكر ذلك لها بإخلاص في هذا المقال ، لعل أخطاءات الفهم تتردى إلى الصواب ، أو لعلنا اختلفنا في وجهة النظر فنتقارب حتى نلتقي . . .

فكرة المقال عند الأخت الكريمة ، أن الأغراض السياسية هي التي أرجعت المرأة إلى البيت لتزود البلاد بجيش من الأطفال يملأ الفراغ عند ما يدوي النداء . . .

وأن الأغراض الاقتصادية هي [illegible] بعد ذلك إلى المصانع والمزارع [illegible] الرجل الذي ذهب إلى الميدان بعد أن دوى النداء . . .

وأن القادة والزعماء حينما أرجعوها إلى البيت بدواعي الفطرة والأنوثة والأمومة لم يكونوا صادقين ، ولم يكن غرضهم إعفاءها من مشقة العمل ولا ظفرها بحياة هادئة كريمة ، كما أنهم عند ما دعوا فأخرجوها . . .

هذه هي الفكرة . . . فهل هذا هو الواقع . . . ؟

إنني أخالفها في ذلك . . . والواقع فيما أرى أن أولئك القادة حينما فكروا في النهوض بقومهم ، رأوا أن ذلك لا يتم إلا بالحد من كثير من الحريات التي أعطيت للأمة بسخاء ، فلم يحسن أفرادها شيئاً من التصرف بها ، وضيعوها في الأهواء الجامحة ، بدل أن يدخروها للأفكار الطامحة

وتم لهم ذلك بالعمل ، فسيطروا على الحرية ولم يطلقوها إلا بحساب ، فتسنى لهم السير نحو الهدف الذي جعلوه نصب أعينهم ، في جو من الهدوء والسرعة والنظام . . . !

وأكاد أجزم بأن هذا هو الأساس الأول الذي يجب أن تبنى عليه كل نهضة موفقة ، ما لم تنحرف فيما بعد عن الوضع المفيد المنتج .

وقد كانت حرية المرأة في مقدمة هذه الحريات الخاطئة التي حدوا من نشاطها ، لأنها أم الشعب ومربيته الأولى قبل أن تربيهم المدارس في الصغر ، وقبل أن تربيهم الحوادث في الكبر . . .

هذه الأم لم تقنع بالوضع الذي وضعتها فيه الطبيعة ، فباعدت الشقة بينها وبين الأمومة ، رغبة في العلم حتى تقطع معظم مراحله ، ثم رغبة في الكسب المستقل ذلك الذي كما يستقل الرجل ، ومثل رجل .

وكانت النتيجة أن منعها العلم من حياة البيت المبكرة ، عند ما بلغت السن التي تمكنها الطبيعة فيها من [illegible] ، كما منعها الكسب من التضحية [illegible] التي تفرضها فيه ، من أجل الحياة القادمة التي تفرضها في عقد الزواج ، وما يترتب عليه من تحكيم في الروح والجسد ، وما يلابسه من سعادة وشقاء لا بد من تلازمهما في حياة كل فرد . . .

ورغبتها في الكسب هذه أدخلتها في مأزق حرج سياجه المادة ، جعل تجار الشعب يستغلونها أشنع استغلال ، ليحصلوا على أكبر نصيب من إنتاجها ويعطوها بأقل نصيب من أجرها ومجهودها . . . !

ثم بالغوا في عبادة ذلك الصنم ، فسجدوا له سجدة هائلة ، سرت الثأر من عيونهم الباقي من أوهامهم ، فلم يعد لديهم نظر ، ولم يبق عندهم شيء . . . لأنهم استردوا من المرأة المسكينة باليمين ما أعطوها إياه بالشمال . . . !

فماذا صنعوا . . . ؟ وكيف تم لهم ذلك . . . ؟

ألقوا لها ألواناً من الثياب والأغذية . . . !

وركبوا لها أخلاطاً من الأصباغ والزينة . . . !

وفننوا لها أشكالا من اللهو والعبث ... !

هكذا صنعوا ... ثم ألقوها هي بنفسها – أيام الحرب – جابية الضرائب التي فرضها عليهم صنم المادة، فكانت أمينة عليها كل الأمانة، حريصة كل الحرص، مخلصة كل الإخلاص ... لا هوادة عندها في طلب، ولا رحمة بإنسان!

ومن هنا بدأ يختل التوازن، وسار كل شيء في غير مجراه الطبيعي، ففسد المال، وانحلت العرى، وضعفت الأخلاق، وضاقت الصدور، وشكا الناس ...

ولم يكن بد من قيام الزعماء وتدارك الخطر قبل أن ينهار المجتمع ... ! وقام الزعماء بالفعل، وتولوا الأمر، وبحثوا عن الداء ... فوجدوه في كثير من هذه الحريات الكاذبة ... فضيقوا عليها الخناق، وأقاموا لها المعالم والحدود! ثم رأوا أن شر هذه الحريات ما خرج بالمرأة عن طبيعتها، فقالوا لها: إلى البيت ... ثم إلى الزوج ثم إلى الطفل.

إلى وظيفتك في الحياة ... [illegible] من أجل الرجل، حيث العرش الذي لا ينازعك فيه منازع ... !

وهكذا عادت المرأة إلى البيت على أيدي القادة ذوي الحزم في كل أمة شاء لها الله أن تنهض، وأن تفيق من سباتها ... !

فهل من العدل أن نرميهم بعد ذلك بأنهم لم يريدوا لها ما هي أهل من الراحة والهدوء ... وأنهم لم يريدوا إلا تزويد بلادهم بجيش من الأطفال يعدونه للغد؟

ليس ذلك من العدل فيما أعتقد. وذلك لأسباب:

أولها: أنه ليس بينهم من جاء من غير امرأة هي أمه، وليس منهم من ليست له امرأة هي قرينته أو قريبته أو صديقته، حتى نتصور تجردهم من الرحمة بهن إلى هذا الحد الذي وصفتهم به الأخت الكريمة عفا الله عنها ... !

والثاني: أنه لم توجد إلى الآن طريقة معروفة لتوفير الخصب في إنتاج الجنس الآخر الذي يصح تعبئته للحرب، حتى نعتقد أنهم لم يعودوا بهن إلى البيت إلا لذلك ... !

والثالث: أنه على فرض رغبتهم في إنتاج الأطفال ليدافعوا بهم عن الوطن في المستقبل – إذا أرادوا ذلك – فأي خطأ فيه وأي حيدة عن الصواب ... ؟

والرابع: أنه مما لا ينكر اتصافهم بحب الخير لأوطانهم، والوطن في كل زمان ومكان قائم على الرجال والنساء، فهم بلا شك يريدون الخير للجنسين على حد سواء ... !

والخامس: أنه حينما أدخل هؤلاء الزعماء المرأة بيتها إنما أدخلوها إياه من أجله ... ماذا فعلوا بالرجل؟ لقد أعدوه للنزال والنضال! ثم حينما عادوا فأخرجوها منه ... أين بعثوا به؟ لقد أرسلوه إلى الميدان، حيث القنابل والنيران! فأيهما كان إشفاقهم من الشقة عليه أعظم وأتم؟ وأيهما كان أظفر من صاحبه بالحياة الهادئة [illegible]؟ [illegible] الرجل [illegible]!

والسادس: أن إرجاع المرأة إلى البيت في أيام السلم لم يكن مقصوراً على الرغبة في إنتاجها الأطفال وتربيتها لذلك ... بل أريد به إنتاج الرجل قبل كل شيء، وإبعادها عنه نوعاً من الإبعاد، ليتفرغ هو أيضاً لإنتاجه وما عليه!

والسابع: أن إخراجها من البيت في أيام الحرب إلى المصانع والمزارع، لم يكن إلا رحمة بها، وإحساناً إليها، حتى لا تحتمل البيت مهجوراً من الزوج قلبها الرقيق، وشعورها المرهف، تقرب فيه أنواعاً من الألم والدموع، وأنواعاً من اليأس والقنوط ... وذلك مما يفت في عضد الرجل، ويقربه من الدمار، الذي إن ذهب به إلى الموت الكريم، فإنه إلى فنائها مع العيش الذميم ... !

بقيت كلمة!

فالذي يخيل إليّ أن الأخت الفضلى لم تقصد إلى

كتابة هذا المقال بالذات، إلا تتخلص منه إلى المقال الذى وعدت به عن العوامل التى توجه الرأى عندنا فى الشرق. وعسى أن توفق فى دراسته والإفاضة فيه مع الإلمام بنواحيه ... فإنى أشعر بأنها لم تشبع القول فى مقالها عن الغرب ... وربما كان شعورى هذا مرجعه إلى أنى أحب أن أستكثر من آثارها القيمة وأطمع منها بالمزيد. وفقها الله وزادها من فضله!

وفاء الطفى

رأى ورأى

فى عدد ١٤٢ نقلت الثقافة الإجابات التى أجاب بها نفر من كتاب الأمريكان عن سؤال وجهته إحدى الصحف الأمريكية اليوم وهو: «بين الكتب التى تحظى بالشهرة العالية والمجد الأدبى مؤلفات لا تستحق ما نالته من السمعة، سواء فى ذلك المؤلفات الحديثة والقديمة؛ فما هو الكتاب الذى تختار، ليحمل لقب أسوأ كتاب فى العالم؟».

وكان أول هذه الإجابات — كما نقلتها الثقافة — إجابة ونفرد ارنست هارسون. وقد رشح الكاتب فى إجابته الكوميديا الإلهية لدانتى لتحمل لقب «أسوأ كتاب فى العالم». ولا ريب أن هذا الرأى قد صدم الكثيرين من المؤمنين بعبقرية دانتى، كما صدم منذ عام وليف مثل هذا الرأى نفراً من شباب ... وذلك أن جمعية الشبان المسيحية فى ... كانت ... هذه السطور أن يختار له موضوعاً يحدثهم فيه ... الجمعية، فاختار أن يحدثهم فى موضوع «الوهم وأسبابه». وفى خلال الحديث أشرت إشارة عابرة إلى شاعر من الشعراء الذين ينال — فى رأيى — من الشهرة الأدبية فوق ما يستحق، ولم أذكر اسم الشاعر تصريحاً يومئذ، إنما ألمحت إليه تلميحاً. وجاءنى بعد حين نفر من الشبان وطلبوا أن أسمى هذا الشاعر العالى الذى لا يستأهل المنزلة العالية التى يحتلها فى ثبت الخالدين. ولم أشأ أول الأمر أن أسمى لهم هذا الشاعر، وقلت: إنى لم أشر إليه وأنا أقصد ذمه وانتقاصه بالذات، إنما أشرت إليه كمثال من الأمثلة العديدة التى تبين لنا كيف تتحكم الأوهام الموروثة فى عقول الناس، وتحملهم على تقدير الأشياء والأشخاص — فى أحوال كثيرة — تقديراً زائداً أو ناقصاً، كما قد تسعد الظروف أو لا تسعد. إلا أن أصحابنا ألحوا وألحفوا ورجوا، حتى ذكرت لهم اسم دانتى ... ولقد كان ما قدرت ففغروا أفواههم مستغربين مستريبين، ثم انطلقوا يحاجّون ويلاحّون ساعة طويلة، وافترقنا وكل منهم مصر على رأيه إلا القليل؛ ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل مضى نفر منهم يشيعون ويشيعون أن فلاناً لم يقل كيت وكيت إلا لمرض فى نفسه ... ما أخذوا على عاتقهم أن يشيعوا وأن يشنعوا فقلت: سبحان الله! ألا تستطيع أن ترى الرأى لم يجر فى سبيل مطروق إلا وينسب إلينا الغرض أو التحكم أو حب الإغراب أو خلافها مما يحلو للمشنعين أن يشنعوا؟!

هذا رأى الأمس. أما رأى اليوم، كما يرى القارئ، فهو رأى الكاتب الأمريكى. فهل يقوم أصحابنا بالأمس لو أتيح لهم الاطلاع على رأى هذا الكاتب الأمريكى، ويقولون: إنه الكاتب المغرض الذى لا يتوخى الحق ولا يتحرى الإنصاف؟ أو يقولون: إن المرء قد يأتى بالفكر الطريف وهو لا يقصد التحكم ولا التهجم ولا الإغراب؟!

فوضى الطبع والنشر وجنايتها على الأدب العربى

بين يدى وأنا أكتب هذه الكلمة كتابان ومقال من كتاب فى صحيفة. أما الكتابان فهما الجزء الأول

من العقد الفريد كما أخرجته لجنة التأليف والترجمة والنشر، وديوان أبي نواس كما أخرجته إحدى المطابع (مطبعة حجازي في القاهرة عام ١٩٣٧). وأما المثال فهو تلك التحية العاطرة التي وجهتها من الثقافة الروائي الكبير الأستاذ محمود تيمور إلى الأستاذين طه حسين وعبد الوهاب عزام، وإلى أصحاب مطبعة المعارف الذين تعاونوا تعاوناً صادقاً على إخراج كتاب «كليلة ودمنة» في طبعة جديدة، بلغت شأواً بعيداً في إناقة الطبع وجودة الورق ودقة الضبط والتحقيق. وليس الكتاب بين يدي لأرى بنفسي إلى أي حد بلغ الإتقان في طبعه، فأدعه وأعود إلى الكتابين اللذين أرى أمامي الآن. أما العقد كما خلصته لنا لجنة التأليف من سخافة الطبع وقذارة الورق وشناعة التحريف والتصحيف، فقد خرج من مطبعة اللجنة كأحسن ما أخرجت مطابعنا الحديثة كتاباً، ورحنا نرتقب الأجزاء الباقية بشوق أشد مما ارتقبنا هذا الجزء الأول، وها أنا منذ الآن في انتظار ... وترقب. وأما الكتاب الآخر، ومدعوون إلى ... ما أصحه الآن كيفما اتفق، وأجد ... ما يأتي.

نجد في أول الصفحة الثالثة والخامسة والستين، حيث فتحت، هذه الشطرة: «من كف مضمر الزنار مستدل» وواضح أن الأصل «مختصر» بدل «مضمر»، فالوزن والمعنى يقتضيان ذلك.

وفي هذه الصفحة أيضاً هذا البيت:

حاك أبيع بها وشياً وحبَّرها
بالغ الزهر من مثنى ومن وحد

ولا ريب أن هذه «الأبيع» هي الربيع عينه.

وفي الصفحة عينها ثالثة الأثافي ورابعتها، فيها هذه الشطرة: «فذلك واه ليل وداني»

ولن تعيب لها معنى إلا إذا جعلتها: «فذلك وأنه ليل وداني».

هذا في صفحة واحدة فما بالك بكل ما في الديوان؟

ولا تقع على هذا في كتاب دون كتاب، إنما أنت واقع عليه في أكثر ما بين أيدينا من كتبنا القديمة، وعلة هذا أنه لم توضع إلى الآن سياسة واضحة حازمة لنشر أدبنا القديم، وإنه ليخيل إلى أنه يستطيع كل من يشاء أن يطبع ما يشاء من الكتب القديمة دون أن يجد حسيباً ولا رقيباً، فهل مثل هذا يجري في مطابع الغرب أم هي حلامة؟ إني أنظر في الطبعات المتعددة للكتاب الواحد يطبع في الغرب، فلا أكاد أقع في الكتاب كله على الغلطة الواحدة من الأغلاط المطبعية، ذلك بأن هناك هيئات من كرية تشرف على إعادة طبع هذه الكتب القديمة التي ماتت عنها أصحابها، فلا يستطيعون أن يدفعوا الأذى عنها، فيوكل أمر طبعها إلى هذه الهيئات، وهي في معظم الأحوال هيئات قديرة محترمة، وإما أن جميع الطابعين والناشرين هناك ... من ... الثقافة والشعور بالمسئولية حدا لا يحتاجون معه إلى رقابة. والذي أقترح — مادام كثيرون من الطابعين ... على أضأل حظ من الثقافة والشعور بالمسئولية — أن تتفق جميع الحكومات العربية على تنظيم شؤون الطباعة والنشر، فلا تسمح إلا للهيئات المحترمة بطبع الكتب القديمة، والإشراف على تصحيح ما تحفل به الطبعات السابقة، والمخطوطات التي لم تطبع، من أغلاط جداً، وبهذا وحده نستطيع أن نحبب أدبنا القديم إلى الناشئة، ونخلص الكتب الكثيرة منه مما تحفل به من ضروب التحريف وسخافة الورق وتفاهة الشرح والتعليق، وإذا قيل: ليس كل قارئ يستطيع أن يبتاع الطبعات الدقيقة الأنيقة لما يصرف عليها من جهد وعناء ومال. أجيب: إنه بالإمكان أن يطبع الكتاب الواحد الطبعة الأنيقة الدقيقة، ويقتنيها القارئ الثاني، ثم تطبع منه الطبعة الرخيصة الصحيحة، ويقتنيها القارئ الفقير ومتوسط الحال، كما يفعل الغربيون في طبعاتهم المتعددة للكتاب الواحد.

(شرق الأردن) ا . ع

زنوبيـــــا

للأستاذ أحمد أمين بك

عنى الأستاذ محمد فريد أبو حديد باختيار اللوحات التاريخية يتتبع وقائعها ويتبين معالمها ، ويصوغ منها روايات قيمة تجمع بين لذة القصص وفائدة التاريخ ، في أسلوب شائق سهل خفيف على النفس ؛ فخطا بذلك خطوة موفقة في ناحية هامة من نواحي الأدب العربي ، بعد الخطى التي خطاها من قبل جرجي بك زيدان . فبدأ الأستاذ فريد بكتابة ابنة المملوك ، تصور عصر المماليك في مصر ، وأتبعها بقصة حرب البسوس ، ثم الملك الضليل ، ثم هذه الرواية التي نحن بصددها وهي زنوبيا . وقد كان في كل من هذه القصص يحيا في أشخاصها ، ويتقمص أرواحها ، وينبض قلبه بأحداثها ، وينبض قلب القراء من نبض قلبه ، ويعيشون [illegible] جنس عيشته .

وزنوبيا شخصية محيرة حقاً ، عجيبة حقاً ؛ هي من جنس النساء التي يسمح بها التاريخ على ندرة ، تخضع لها الرجال ، وأكسبت قومها عزة وفخراً لم يكسبهما قومهم كثير من الملوك ؛ وهي أخص من قريناتها أمثال كليوباترة ، لتوغل بلادها في الصحراء ، ولأنها من قوم لم يتحضروا تحضر الفرس والرومان والمصريين ، حتى يدون مؤرخوهم أحداثها وأعمالها في دقة وتفصيل .

لقد روى العرب أحاديث كثيرة عن الزباء ، والاسم قريب الشبه بزنوبيا ، ومؤرخو الفرنج لم يعرفوا غير زنوبيا ملكة تدمر ، ومؤرخو العرب لم يعرفوا غير الزباء ملكة تدمر ؛ والاسمان متقاربان في النطق ، ويطلقان على ملكة تدمر ؛ وما روى العرب عنها من حيث أحداثها وزمانها غير ما رواه الفرنج ، وتاريخ هذه الملكة وأحداثها حسب الرواية العربية غيرها حسب الرواية الافرنجية .

وبعيد جداً أن يعني العرب بأحداث الزباء ملكة تدمر المغمورة ، ولا يعنوا بأحداث زنوبيا ملكة تدمر المشهورة .

فمؤرخو الفرنج اعتمدوا على النصوص اليونانية والرومانية والنقوش التي عثروا عليها في تدمر ، واستطاعوا أن يحلوا رموزها ، ويقرأوا لغتها ، وتتلخص في أن تدمر كانت مدينة عظيمة التجارة ؛ وقد أزهر تجارتها موقعها وسطاً بين مملكتي الفرس والرومان ، وكانت مستقلة ؛ ثم كان من أمر سابور ملك الفرس أن أسر « والارياوس » ملك الرومان ، فأراد ابنه غالينوس الذي ورث مملكته أن يطلقه من سابور ثأره ، فساعده على ذلك رئيس تدمر ، واسمه أذينة ، وزحف بجيشه على سابور وهزمه ، فقلده غالينوس ملك الروم على تدمر ، وذلك سنة ٢٦٤ ميلادية ، [illegible] على أن سقير اسمه وهب اللات ، أي هبة اللات . ولما كان وهب حديث السن ، تولت أمه زنوبيا الوصاية عليه ، وكانت فريدة عصرها حسناً وعقلاً وبأساً ، ومدت سلطانها على الشام وبعض نواحي مصر ؛ ثم تسوءت العلاقات بينها وبين « أورليان » ملك الرومان ، فجرد لها جيشاً حاربها ، وكسر جيوشها مرتين ، ثم حاصرها في مدينة تدمر إلى أن أسرت ونفيت في مصيف « تيبور » ، وقال بعض المؤرخين إنها عكفت في هذا المنفى على تهذيب أولادها ، وزوجت بناتها من أعيان الرومان .

وإن الكتابة التدمرية تنص على أن اسمها الأصلي « بت زباى » ، وقد حرفها اليونان إلى زنوبيا .

وأما العرب فرووا أنه كان في أيام جذيمة الأبرش بن مالك اللخمي رجل اسمه عمرو بن الظرب من نسل أذينة ، وكان ملكاً على الجزيرة والفرات ومشارف الشام ، وجرى

بينه وبين جذيمة حروب ، فانتصر عليه جذيمة وقتله ، وشتت شمل قومه . ولكنهم لم يلبثوا أن جمعوا جموعهم ، وملّكوا عليهم الزباء بنت عمرو ، ولما مات جذيمة خلفه عمرو بن عدى ، فأراد قتل الزباء ، فاستدعى قصيراً وأعمل الحيلة فجدع أنفه وزعم للزباء أن عمرو بن عدى هو الذى جدعه ، فأنست به وقربته إليها ، ودلته على أسرارها ؛ فحمل ذلك إلى عمرو ، فركب عمرو فى ألفى دارع مختبئين فى الغرائر ، وتقدم قصير يسوق الابل ، ودخل المملكة بالغرائر ، فخرج رجال عمرو منها وأعملوا سيوفهم فى أهل تدمر ، فهربت الزباء ، فاستقبلها عمرو ، فمصت خاتمها المسموم ، وقالت : « بيدى لا بيد عمرو » ، وماتت .

هذه هى الرواية العربية على اختلاف قليل فى بعض الروايات فى التفاصيل .

شغلت هذه المفارقة بين الروايتين العربية والرومانية الباحثين . فهل زنوبيا هى الزباء ؟ قال المستشرق الأمريكى رد هوس : إنها غيرها ، وألف فى ذلك رسالة سماها (Were Zenobia & Zebba'u identical?) . وذهب الأب سبستيان رنزفال إلى أنها هى ، وكتب فى ذلك مقالات متتابعة فى السنة الأولى من مجلة الشرق . وكذلك رأى الأستاذ جويدى . وذهب الأستاذ فريد إلى أن زنوبيا كانت حفيدة للزباء لأن تاريخ الأحداث فى الأدبين العربى والغربى مختلف .

وعندى أن هذا لا يكفى أن يكون سبباً ، وأرجح اتحادهما وتحريف الزباء من زنوبيا . فكم من أعلام غريبة صاغتها العرب صياغة جديدة طوعاً لألسنتها ، والفرق قريب جداً بين زنوبيا والزباء وزينب وبنت زباى ؛ ومما يساعد على هذا الاتحاد فى موقع الحوادث وهو تدمر ، والاتحاد فى أن زنوبيا بنت مدينة على الفرات ، وهذا ما يرويه المؤرخ والعرب معاً .

أما تلاعب العرب بالحوادث فمقدرهم فيه أن الحوادث حدثت قبل الاسلام بنحو ثلاثة قرون ، والرواية تنتقل شفوياً من غير تقييد ولا كتابة ، وكلما مر الزمان مسخت الأحداث وحورت . ومما يدل على وضع الحادثة ما ورد فيها من أمثال عربية مثل « لأمر ما جدع قصير أنفه » و « بيدى لا بيد عمرو » وشعر « ما للجمال مشيها وئيدا » ونحو ذلك ، كأنهم ظنوا أن أهل هذه البلاد فى ذلك العصر كانوا يتكلمون اللغة العربية القرشية المعروفة عند مجىء الاسلام ، مع أن الثابت تاريخياً وعلمياً أن تدمر وما حولها كانت مسكونة بالأنباط من شمال الحجاز إلى نواحى دمشق ، والأنباط كانوا يكتبون النبطية ، وهى نوع من اللغة الآرامية لا تزال منقوشة على آثار تدمر إلى الآن ، وقد حلها المستشرقون وأمكنهم قراءتها وحل رموزها ، ولم تكن حروف العربية المعروفة قد استنبطت بعد . وكذلك كان سكان العراق والجزيرة يكتبون الآرامية العربية ، وكل الكتابات التى عثر عليها فى تلك المناطق تخالف فى قراءتها وكتابتها اللغة العربية المعروفة قبل الاسلام فى جزيرة العرب ؛ فالأمثال والأشعار التى وردت فى هذه القصة مع صبها فى القالب العربى الاسلامى دليل وضعها .

* * *

لقد كانت زنوبيا مثقفة ثقافة واسعة ، وفى بلاطها كثير من أدباء الرومان وفلاسفتهم ، وكانت تعرف اللغات المصرية واليونانية واللاتينية ، وانتسبت إلى كليوبترة المصرية ، وكانت بلادها ساحة للديانات الثلاث الوثنية واليهودية والنصرانية ، وكثر الجدل الدينى فى أيامها ، وأخيراً ادعت كل طائفة أن زنوبيا كانت تدين بدينها .

* * *

وغريب مع كل هذه العظمة والثقافة والملك أن يهمل العرب شأنها، فلم يعرفوا عنها إلا هذه القصة الموضوعة، ولم تستقل شخصيتها ولا بلادها في الأدب العربي؛ وكل ما أعرفه مما ذكره العرب أن النابغة الذبياني زعم أن الجن هم الذين بنوا تدمر لسليمان إذ يقول:

إلا سليمان إذ قال الإله له
قم في البرية فاحددها عن الفند
وخيس الجن إني قد أذنت لهم
يبنون تدمر بالصفاح والعمد

وبعد ذلك رووا أن أوس بن ثعلبة التيمي في أيام يزيد بن معاوية زار تدمر ورأى من نقوشها وصورها صورة جاريتين منقوشة على قبرهما فقال:

فتاتي أهل تدمر خبراني ... ألما تسأما طول القيام
قيامكما على غير الحشايا ... على جبل أصم من الرخام

وشبب ابن الحاجب بهما فقال:

أتدمر صورتاك هما لقلبي ... غرام ليس يشبهه غرام

وجاء الثعلبي فذكر أن اسمها تدمر مشتق من التدمار، إذ يقول:

وتبنى بغير تدمر مشتقات ... ويدمر كأسها ظلم دمار

وأما القصص اللطيف حول تدمر والزباء، فلم نعثر في الأدب العربي منه على شيء. فإذا جاء اليوم الأستاذ فريد فأحيا ذكرى هذه الملكة العظيمة، وأثار الكلام حولها وأمتع القراء بها، فله فضل السبق وشكر المجيد.

أحمد أمين

على هامش الأسبوع

الدكتور أحمد زكي بك

تيمور بك:

أهداني تيمور بك على عادته الكريمة كتابه الجديد، وهو يتضمن ثلاث مسرحيات من فصل واحد هي: الصعلوك وأبو شوشة والموكب. وهي مكتوبة باللغة الدارجة المصرية. ولعلها أول كتاب أخرجه الكاتب بهذه اللغة؛ وهو لا شك أول كتاب أقرأه بهذه اللغة. لذلك تهيبته أول الأمر واستبقيته لفسحة طويلة تتسع لذى حسبته سيضيع من الوقت في فك رموزها واستجلاء إملائها؛ ولكني فرغت من قراءته، من قراءة الروايات الثلاث التي تضمنها، في دون الساعتين. ولو كان قرأها غيري لفرغ منها في ساعة فما دونها. [illegible] الإملاء غير المألوف الذي تُكتب به الدارجة [illegible] من سرعة القارئ حقاً. ولكني نبهت إلى جانب هذا أن ألفة القارئ للتعبيرات تزيد من تلك السرعة حتى تستقل بهذه الزيادة بطء الإملاء وتفوته. وقد قالوا، وحقاً قالوا، إن القارئ لا يقرأ اللغة حروفاً، وإنما يقرأها كلمات. وفي هذا الإملاء الدارج كنت أحسبني أقرأها جملا.

وقد كنت قرأت لتيمور بك روايات أخرى وجدتها كلها خفيفة الروح، حلوة المذاق، يتحلب لها الريق ولا تتعسر بها معدة، فهو يطبخها من أخف الأطعمة وزناً وأقلها كثافة وأيسرها هضماً، فإذا تناولتها جرت من فمك مجرى الماء سهولة، فلا تحس بها غير نفحة شهية طيبة في الأنف، ومذاق حلو تخلف على اللسان.

وما إن فرغت من مسرحياته الثلاث هذه، حتى وقع في نفسي أنها أشهى وأحلى، وأن الزيادة في هذا الاشتهاء، وهذا الاحتلاء، إنما كانت لعاميتها أيضاً. ولا يسوءن قولي هذا أحداً.

بين الدارجة والفصحى:

إن اللغة العربية الفصحى لغة الأدب الرفيع، ولغة المعاني السامية؛ لغة التفصيل العميق إن أردنا تفصيلا، ولغة الإجمال المعجز إن أردنا إجمالا؛ لغة المراثي الفجعة والمدائح البدعة؛ لغة الحب الباكي والحب الضاحك على السواء؛ لغة الهمة الشماء والعزة القعساء؛ لغة ترفض الظلم وتأبى الضيم؛ لغة تأبى العار وتجير الجار وتحمي الذمار؛ لغة جمعت بين جلداتها مجد الإنسان وحكمة الزمان.

واللغة العامية لغة البيت، ولغة الحوسة، ولغة الأسواق، وكلتاهما [illegible].

إن حياة المصري، بسبب اختلاف اللغتين، حياتان: [illegible] الكتاب وما تتضمنه الكتب من علم وأدب ومن رأي؛ أعني حياة تتصل بجانب العيش الأعقد، وجانبه الأسمى والأبعد، وهذا الجانب وسيلته اللغة الفصحى. وحياة تتصل بالمأكول والمشروب والملبوس، وتتصل بالمعاملات في الطرقات وغير الطرقات؛ أعني حياة تتصل بجانب العيش الأبسط، بجانبه الأحط الأخفض، وهذا الجانب وسيلته اللغة الدارجة.

وإن كانت اللغة الدارجة قد قصرت من الفصحى في حيز المجال الذي تعمل فيه، والأغراض التي تعمل لها، فقد فاتتها فيما تستهلك من أوقات الناس وما تستغرق من عقول الناس. وإذا نحن اعتبرنا أعداد هؤلاء الناس، رجحت العامية رجحاناً مبيناً، وشالت الفصحى شولاناً ناصعاً. وإن كان الكيف خيراً من الكم، فهنا لا يكون الكيف بالغ القلة، والكم بالغ الكثرة. وإذا نحن اعتبرنا كيف الفصحى، وكم الدارجة، قلنا إن لغة

المصريين التي تشكل حاضرهم ، وتستبق وحيهم مستقبلهم هي اللغة الدارجة .

إن اللغة الفصحى لغة نحصّلها بالتعليم ، والتعليم تطبّع ؛ واللغة الدارجة لغة نحصّلها بالنشأة ، فهي لغة الطبع ؛ لهذا كانت أكثر امتزاجاً بمشاعرنا ، وأخف وقعاً في آذاننا ، وألطف مدخلاً إلى قلوبنا . وإذا أنا قلت قلوبنا فإنما أعني قلوب هذه الأمة بملايينها الخمسة عشر ، لا تلك الآلاف التي اتخذت من الأدب صناعة ، أو من التأدب عادة . فالدارجة لها الأثر الأول لدى هذه الملايين ، ولها المكان الأول في حاجاتهم ؛ والفصحى المكان الثاني . وأنا في كل هذا إنما أصف ما هو كائن ، لا ما يجب أن يكون .

ومن وصف ما هو كائن أيضاً أن اللغة الدارجة ، في المدن الأشيق ، أو في الثلاثة الماضية ، خطت نحو الفصحى خطوات واسعة ضيقت البرزخ [illegible] تضييقاً يذكر . فصار الطريق مما يجمع [illegible] الشوارع ، ومن العمال والصناع [illegible] ألفاظاً عربية ، والمستشهدات أدبية ، لم يكن يسمعها في الزمن الغابر . وسبب هذا لا شك انتشار التعليم لا سيما في المدن . وسيزداد هذا البرزخ بانتشار التعليم ضيقاً ، ولكن لن يُقدَّر للعامية أن تقطع البرزخ كله وحدها ، فهي قد تقطع نصفه ، وهي قد تقطع ثلثه ، وعلى الفصحى أن تقترب من ناحيتها أيضاً ، نصفاً أو ثلثاً .

جماعة المزمّتين :

ولكن هذا لن يكون ما دام السلطان في اللغة لجماعة المزمّتين ، لجماعة الأزهريين ؛ الفئة التي تقول هذا ورد في كلام العرب وهذا لم يرد ؛ الفئة التي تمنع حتى المقيس من القياس إن لم يكن قد سُمع في كلام العرب ؛ الفئة التي تأبى على لغتنا الدارجة أن تنتسب في أصولها إلى لغة العرب ، وعلى ألسنتنا أن تكون شرائح مقدودة من لسان العرب ؛ الفئة التي تعيش في الماضي وحده ، وتنعم بنعيم الماضي وحده ، وتتطاول إليه رءوسها ولا تبالي ما تمسّحت هذه الرءوس ، تنادم الماضي رغبة مطردة أن تكون الأرجل في وحل الحاضر وطينه . تلك الطائفة التي لا ترى اللغة إلا بيت شعر يُنشد ، أو منطوق حكمة يُتمثّل بها ، وتنسى أن اللغة تجري في حلوق الناس جريان الدم في أجسادهم ، وتشتجر ونواضج الحياة كاشتجار النحو ومذاهبه في رءوس النحاة أو أشد اشتجاراً .

بطء النهضة :

على أن القافلة تسير على رغم الأنواء والأعاصير ، فقد دخلت الفصحى ألفاظ لم تكن بها ، أو هي لم تكن [illegible] في حسبان الثلاثة . ودخلتها تعبيرات ليس فيها الطرفة الكافية التي أتى بها الثلاثة ، ولا التجهيم [illegible] الثلاثة . ولئن يكن حتى الثلاثة [illegible] الخطى وتحكيم السير على الدارج [illegible] النهضة التي بدأت والتي هي سائرة إلى غايتها المقدورة ؛ وقد كان هذا بطئاً تتسع له الصدور لو أنه وقع في زمان سُبطي ، وبين أحداث تُمهل ، إذاً لقلنا خلّوا الأمور تجري في أعنّتها ، ودعوا الطبيعة تطلع على سجيتها . ولكن الزمن جرى بالعالم في القرون الثلاثة الماضية ثلاثة آلاف عام هي أشبه — بالأثر العظيم الذي أحدثه — أن تكون ألفاً ؛ وجرى بمصر وأشباه مصر في القرون الثلاثة الماضية ثلاثة آلاف عام هي أشبه — بالأثر القليل الذي أحدثه — أن تكون مائة فما دون المائة . فالبطء بعد هذا التباطؤ البالغ لا يكون تمسكاً وبطئاً ، بل يكون إجراماً ، لا في دائرة اللغة وحدها ، بل في كل دائرة من دوائر النهضة الحاضرة . إننا في حال من التقهقر يشبه أن يكون يأساً ، حال لا ينفع الهزل ولا ينفع التجمل ، ولا ينفع [illegible]

التي يفرضها علينا المتحذلقون . إن البيت الذي نعيش فيه ، وعشنا فيه تلك الأجيال الماضية الطويلة الجيدة ، بيت عميق الأساس عريض البناء واسع الأرجاء ممتد الفناء جميل فسيح ، يلائم ما اعتدناه في الزمن العتيق من عادات وما تطلبناه حينذاك من حاجات . ولكننا في الزمن الحديث استبدلنا عادات بعادات ، وحاجات بحاجات . وكل الذي تريده بهذا البيت إنما هو إبدال حائط بحائط ، وبهو ببهو ، وتوسيع هنا وتقصير هناك ، والبيت هو البيت ، والأساس هو الأساس . فالذي يقاوم حتى هذا الاعتدال إنما يدعو النفوس إلى ثورة تذهب بالبيت من جذوره ، ثورة تضيع معها حرمة الماضي ، وإعزاز الماضي ، وجمال الماضي ؛ فالماضي عزيز جميل ما استمد الناس منه الحياة ، وهو شيء قبيح ما استمد الناس منه الفقر والذل والفناء .

محنُ اللغويين :

إن اللغة العربية التي كانت تنتشر في الناس [illegible] ألف عام فما فوق الألف لا يمكن أن تعيش اليوم في الناس كما هي بعد هذه القرون الخوالية . وبلاؤنا في هذا أنه ما من لغة في الأرض عاشت هذا العمر الطويل دون تغير وتبديل . بهذا جرت سنة الله في لغات الناس كما جرت سنته في الناس والأشياء على السواء . والذي يخالف سنة الله لن تجد من نفسه عوناً إذا فاته عون الله . وبلاؤنا فوق هذا أنه رغم الجهود الهائل الذي بذله المجتهدون في تعليم اللغة في هذا القرن الحاضر لا تكاد تجد من الرجال عشرة يستطيعون أن يتحدثوا لك باللغة العربية سليمة صحيحة مشكولة كما كان يتحدث بها الأعراب في الزمان البعيد الأول . هذا إذا تحدثوا لك في شئون نظرية أو مواضيع أدبية أو فلسفية مما تعودوا عليه بالدراسة . أما إذا أنت خرجت بهذه العشرة إلى الأسواق ، أو ذهبت يوم إلى منازلهم ، وطلبت إليهم أن يتحدثوا لك فيما حولهم من أشياء أو ما يجري هنالك كل يوم من شئون ، لم تجد أحداً منهم ولا أيسر لساناً ، وإن حدثك في هذه الشئون متدفق متحذلق متفيهق فيهم ، حدثك بلغة القمطر والبهمة والإجانة والنشاطة والكريا والشبز والقرطف والنوقة والأردية والبرنس والتنوى والطرز والأسكفة والنمر والزيتن والجنبار ، وهو يعني بهذه في غير مؤاخذة أن يحدثك عن الدولاب والورشة والطشت والقبة والنجفة والشكير والبطانية واللاجة والماسورة والدش والمسيفة والقبلة والعتبة والجرك والفيشش والترام . وأرجو أن أكون قد أصبت في ترتيب سردها ، فليس لديك أيها القارئ ، وأنت المثقف ، من وسيلة في الدلالة عليها عند الحظ إلا عدها .

المتحذلقون في سوق حرة :

تلك الأحابيل لا يمكن أن تحيي من لغة أبداً ، ولا [illegible] في الناس لغة أبداً ، بل هي تنكرة في اللغة واللغويين . واللغة [illegible] يطبق بحكم عسكري ، بل هي كالسلعة في سوق حرة ، يقبل عليها من يقبل ، وينصرف عنها من ينصرف . والآن آن للغويين أن ينظروا في سلعهم أيها نفق وأيها كسد . آن لهم أن يراجعوا حساباتهم كما يراجع التجار ، لينظروا كم كسبوا وكم خسروا . ولا يقولن أحد ما للغة والتجارة ؟ فكل شيء في هذا العصر الحديث ، الذي لا تُجهل فضلاته ، يخضع وحده لقانون الربح والخسران ، إلا أن يكون ذمة أو ذماراً ، أو عقيدة من العقائد ، أو ديناً من الأديان . وسيجد هؤلاء إن فتشوا دفاترهم أنه لم يبق من مخازنهم عبر دهر طويل إلا القلة ، إذا انتسب عدده إلى عديد الأمة أنتج كسراً تتطلب بسطه الواحد مقاما ذا عشرات كثيرة . فإن كان هذا كل أملهم في الكسب ، إن كانت كل غايتهم أن يحتكروا ذلك الكلام الطريف النادر في

أدمغة قليلة كما تُختزن التحف الثمينة في صناديق الزجاج بالمتاحف ، فليس لأحد عليهم من تثريب ما وجدوا الأدمغة الراضية أن تكون وعاءها تترقرق من ورائه تحف الماضي العتيق .

ولكن ما لهذا خُلقت اللغات . ولئن جاز في الماضي أن يحتكر اللغة أقوام ، فما يجوز هذا في الحاضر وما هو ممكن بعد اليوم أبدا . فكل المبادئ السائدة اليوم ، من ديمقراطية ، أو شيوعية ، أو نازية تأبى الاحتكار ، وكلها تجعل من حق الفرد أن يتعلم ، ولا تعلم إلا بلغة مكتوبة منطوقة ؛ فلتعميم التعليم لابد من تعميم لغة واحدة تألف مسامع الناس ، والناس عامة ، وتدخل في مقدور الناس ، والناس عامة ! وما تلك اللغة التي يعرضها اللغويون بهذه اللغة الواحدة الطاوية التي تألف المسامع وتدخل في المقدور .

لغة المستقبل :

إن اللغة العربية القديمة لغة كريمة عزيزة علينا وفيها من اللفظ الجزل والأسلوب الرائع والمعنى الخالد ما يروع اللغات قديمها والحديث ، ومع هذا ففيها مصاعب كل قديم . واللغة العامية لغة ورثت لنا من طبقات ماضينا القريب ، وخلصت لنا من بين رُكامه وحُطامه ، وهو ماضٍ ليس العلم من محصوله ، ولا الأدب من نتاجه ، حتى ولا الكرامة والعزة من سماته ؛ واللغة التي تعتّق منها من طرازه . ومعنى هذا أن لغة العرب الأقدمين لغة لا يمكن إعدادها على ما كانت لكي تشمل كل هذا القطار وحتى ينطق بها كل هؤلاء الملايين في عصر هذه النهضة الحاضرة التي لا بد فيها من تعميم التعليم وتوحيده وتوحيد لسانه ؛ ولا اللغة الدارجة مُغنية في ذلك غناءً كافيا مرضيا . وعلى هذا فليس للأمة إلا خطة من خطتين : أولاهما أن تتوزع مناشطها على لغات أشتات كما هي الحال الآن ، فتختص الفصحى بالشعر والأدب ، وتشتغل الدارجة بالوجوه اليومية العملية من الحياة ، ثم يكون للغات الأجنبية العلوم والفنون وكل شيء ذي بال من خلق المدنية الحديثة . وثانية الخطتين تنشئة لغة جديدة تكون وسطا بين العامية والفصحى ، يؤخذ لها من أصول هذه وأصول تلك ، ويراعى في اختيار هذه الأصول أنها ستتحرك بها ألسنة العامة ، ألسنة الشعب ، والشعب كله ، في زمن سيكون فيه الأمة غير هذه الأمة ، والحال غير هذه الحال .

ولا سبيل إلى هذا إلا برفع الحجر عن اللغة العامية ، وفك الوثاق الذي هي فيه ، وإعطائها صوتا في مداولات اللغويين ، صوتَ أصيل لا صوت دخيل ، صوتا كالصوت الذي يعطى للفيروزابادي والصحاح ولسان العرب وسائر المراجع والقواميس . فاللفظ العربي إن جاز أن يكون دليله ما خُطَّ على الأوراق ، فأحرى به أن يكون دليله ما جرت به الألسنة على تتابع القرون . وعلى هذا فكل لفظ عاميّ فاؤه وعينه ولامه في اللغة يجب أن يعود إلى حظيرة اللغة ، إلى بيت أهله وعشيرته محتفلا به مكرّما بعد أن ظل طريدا كل هذه السنين . حتى والذي لا أصل له في اللغة يجب كذلك أن يدخل فيها ما انسجم جرسه وجرسها ، واندمج أسلوبه في أساليبها . وعلى هذا فالطربوش والزر والجلباب والياقة والزرار والشراب والجزمة والشبشب والمركوب والبلغة وما إليها تدخل جميعها في اللغة . والشباك والضرفة والشيش والأكرة تكون جميعها من اللغة . والطوب والدبش والمونة والجير من اللغة . والكنبة والبساط والدلالات والكراس والشنطة والبقجة والأسبتة والكمرة والبزرة من اللغة . والحلة والكركوبة والدمية والشفشنة والشيت والفوطة والشوكة والشربة والعيش والشموس من اللغة . والبراية والبندرة والفرشة

من اللغة ، إلى غير هذا مما يُتعب عدُّه ويُجهد استقصاؤه .

فإن قيل لنا : ولكن الفصحى تقول مرآة ، قلنا والمراية لغة . وإن قالوا : وهي تقول الوعة ، قلنا والبلاعة أيضاً لغة . وإن قالوا : وهي تقول الفنجان والملعقة ، قلنا والفنجال والمعلقة لغة . كذلك يكون من اللغة المرجوة المَبْرد والمَنْجل والمَشْبك والمَسْطرة والمَبْرمة ، فإذا اعترض معترض بأن اسم الآلة وزنه مِفعل بكسر الميم ، قلنا ولكنها هكذا في لغة المصريين ، كما نقول إن كذا هكذا في لغة حِمْير وتميم . لقد أجازت الفصحى المعنى الواحد ألفاظاً عدة أسموها بالمترادفات ، وأجازت اللفظ الواحد صوراً عدة ومنطوقات شتى ، كلها في الواقع ليست إلا لهجات قبائل متعددة جُمعت في لغة واحدة . أفلا يَعدل المصريون قبيلة واحدة من تلك القبائل فيكون بين دفتي هذه اللغة مكان محترم للصور التي بها ينطقون .

والجزيرة والشام والعراق و[illegible] والسودان وأهل الغرب أجمعين ، ثم لا يكون للدارج في [illegible] مثل هذا المكان في اللغة المرجوة التي ستكون ؟ أفلا يعدل الشام هُذيلا ؟ أفلا يعدل العراق قضاعة ؟ والسودان ألا يعدل طيئاً أو أسداً ؟ . والجمل والجبل والوادي إذا كان لها في اللغة من المترادفات عشرات ، كلها تدخل أبواب اللغة غير مستأذِنات ولا مستنكَرات ، فما بالنا لا نقبل الدارج في ألسنة هذه الأمم العربية الحاضرة حتى لو تعدّد اللفظ وترادف . وهي أمم حيّة لم تَبِد بعدُ ، ولن تبيد ما جرت في سبيل الزمان الجاري ، وتأقلمت في اختلاف الأرض والبيئة كما يتأقلم النبات والحيوان .

وغير هذا توجد بين اللغة الفصحى واللغة الدارجة فروق هي في حد ذاتها قليلة القيمة ، ولكن شيوع الفرق الواحد منها في الشيء شيوعاً شاملا يباعد ما بينهما شكلا وظاهراً تباعداً بالغاً لا يتناسب مطلقاً مع قيمة هذا الفرق الواحد أبداً . نضرب لذلك مثلاً حرف القاف ، فهذا الحرف يُرقَّق في عامية المصريين وغير المصريين فيصير ألفاً . فالملاقة والقلقة والقيام والقعود والقبو والقرفة والقلب والقالب والخندق والصندوق والقدم والدقيق إلى سائر ما في اللغة من كلمات ذات قافات ، كل هذه تُشلَح من عربيتها لأن قافها قُلبت ألفاً ، ومع هذا أُذن في اللغة بعجعجة قضاعة وطمطمانية حِمْير (وقد نطق بها رسول الله) وفحفحة هُذيل وعنعنة تميم وكشكشة أسد ، وكل هذه إبدالات حروف بحروف . ولا يزال في أعراب الصعيد وغير الصعيد أقوام حفظت لسانها الأول ، وظلت تنطق القاف جيماً ، فتقول جال وجُلت والمجدوع والمجيج ، وتسمعها فتطرب لجرسها آذاننا ، ومع هذا رفضتها ألسنتنا وأقلامنا . ولو أنك قارنت ما بين القاف والجيم والألف لوجدت — ووجدت مثلي [illegible] — أن الألف أخف جرساً وأندى في الأذن .

وهناك أمور أخرى تتعلق باللفظ لا بد أن تتنازل عنها الفصحى تبعاً للوحدة المطلوبة . وهناك ضرائب أخرى تتعلق بالصرف والنحو لا بد أن تؤديها الفصحى طوعاً إلى الاتحاد المنشود . وهي لا بد مؤديتها يوماً من الزمن عن طواعية لأن ربحها من هذا التفاهم سيكون في يوم أكثر من ربح الدارجة . نعم حقاً سنخسر لفظاً هنا ولفظاً هناك ، وسنخسر حرفاً هنا وحرفاً هناك ، وسنخسر منطقاً هنا ومنطقاً هناك ؟ وقد نضرب حيناً أو نبني حيناً ، وقد نُخطئ مذكراً أو نؤنث مذكراً ، ولكنا سنربح ملايين الألسنة ، وسندخل ملايين الرءوس فتطبع بطابعها كل فكرة تدور بهذه الرءوس ، وسنركب ملايين الألسنة فتخرج من طريقها من سجن المداد ووحشة الأوراق إلى أنس البيت وفسحة الأسواق .

ثم القرآن :

ثم ثم القرآن . هذا الكتاب الكريم الذي لا يتحرج الرجعيون أن يرفعوه إلى صدورهم يستحقون به ويتفاءلون كلما تعرض لهم معترض أو حزبهم من أمرهم حازب . هذا الكتاب العزيز الذي لكل مسلم ، بل لكل عربي فيه نصيب ، تمتد أو تطاول أو تنزلها . هذا الكتاب الذي دفع الرجعية في عهد الجاهلية ، وسيظل يدفعها أينما وجدت ، وفي أي عهد كانت . هذا الكلام الجزل اللطيف الذي يجري في الأذن مجرى النغم ، ويقع في القلب موقع القطر البارد في حلق المحرور الصادي . هذا الكتاب الأقدس سيكون موردا يرده الباحثون في استنباط كل لفظ يستحدث ومعنى يجد وقاعدة تستوضح ، ويكون فوق الوارد جميعا . وما ذلك لقدسيته فحسب ، ولا لأن هذه القدسية تضمن للعربي [illegible] ولا لأنه عند المسلمين فيما يصدرون عنه [illegible] ولكن كذلك لأنه من الوجهة اللغوية الكتاب العربي الأول الذي تأثرت به اللغة وكتاب اللغة في كل العهود ، ولأن جرسه ولفظه وأسلوبه قد اعتادتها جميعا كل الآذان العربية حتى على اختلاف الأديان . فالقرآن له في تكييف الذوق اللغوي العام نصيب لا يجارى ، حتى ذوق العامة الذين يسمعونه ولا يقرأونه ، وأنصاف العامة الذين يقرأونه ولا يفقهونه . ولن تجد في القرآن لفظا مما يريد أن يفرضه علينا الغلاة المتقعرون . لن تجد فيه الجمّاز والأزوز ، ولن تجد فيه القرطف والإجانة والقفيز . ولئن كسبت اللغة المرجوة من القرآن شيئا ، فسيكسب القرآن والدين بهذه اللغة أشياء لم يكونا ليكسباها في الوضع الحاضر من لغة فصحى كالقرص أبعد ما تكون من جمهور الناس ، ولغة عامية كالشنة هي أبعد ما تكون من القرآن . سيكسبان الناس . سيكسبان كل الناس بعموم التعلم وبتوحيد التعليم ، وبتوحيده بهذه اللغة ، هذا التوحيد الذي لا يمكن ولا يكون إلا عن هذه اللغة . سيكسبان عامة الناس وهم القلة ، وسيكسبان عامة الناس وهم الكثرة ، تلك الكثرة الأعز عند الله لأنها الكثرة الأحوج إلى عون الله ، تلك الكثرة التي لازمها الجهل فلازمها الحرمان كل هذه القرون من دنيا ودين .

احمد زكي

أنباء وآراء

نطق المليك

كانت كلمة المليك الخالدة في شأن مشكلة القطن هي حادث الأسبوع ، أو أجل أحاديثه مغزى وأعظمها . وكانت حكماً سامياً في قضية من أهم قضايا هذا الوطن ، حين صرح بأنه «من العار أن تكون مصر بلاداً زراعية ثم لا تستطيع أن تكفي نفسها بنفسها في قوتها الضروري» .

ذلك النطق هو فصل الخطاب في مشكلة القطن . فأزمة المواد الغذائية في مصر إما أن تكون أزمة مصطنعة منشؤها جشع المتحكمين في الأسواق ، وإما أن تكون ظروف خاصة تعود كما صرح دولة وزير الزراعة إلى عوامل الجو في موسم القمح الماضي [illegible] على زراعة القطن تماماً .

ولسنا بسبيل التعرض للأسباب التي يتهالك الزارع من أجلها على زراعة القطن . إنما نحب هنا أن نظهر الغبطة بتصريح المليك السامي ، فهو قد سجل في مقراه حق الفلاح المصري — أو الزارع المصري — كأهم عنصر من عناصر النشاط في هذا البلد . وحبذا لو عمل الجميع على تحقيق ما ينطوي عليه النطق الملكي من عناية بمواد الثروة ومنابعها في هذه البلاد .

سلام المستقبل

في مقال كتبه المستر ملتون روز من آرائه في الأسس التي سيقوم عليها الصلح المقبل ، يعالج الكاتب موضوعاً هاماً هو مدى ما يفيده العالم من تجنب أخطاء صلح فرساي . فهو يرجو ، إذا ما تم النصر للديمقراطية ، أن يتغير درس فرساي ، إذ أثبت الوقت والأحداث معاً خطأ فرض غرامات مالية على شعوب أنهكتها الحروب ؛ فلا معنى لأن يفرض الصلح القادم أي عقوبة مالية على الدول المهزومة . ويصف الكاتب مثل هذه الغرامات بأنها «كوضع القط في حجرة مقفلة ثم إلقاء السوط ، ومطالبته بعد ذلك بالخضوع» .

ويرى المستر ملتون أن ذلك لا يمنع من الإصرار على نزع السلاح التام ، على أن يكون نزع السلاح الحقيقي الذي يستحيل معه العودة إلى التسليح المنظم ، كما حدث بعد الحرب الماضية ، إذ جردت ألمانيا من سلاحها ولم [illegible] الصلح إلى ما أخرج من أسلحة وذخيرة ، ولا إلى قدرة الصناعة على العودة إلى إنتاج الأسلحة ثانياً . فمصانع كروب مثلاً التي حولت إلى مصانع لإنتاج السلع التجارية ظلت قادرة على إنتاج الذخائر والأسلحة .

ويقول المستر ملتون : إنه من السهل اتخاذ الضمانات الفنية اللازمة التي تجعل مثل هذه المصانع عاجزة عن إنتاج الأسلحة . فمصانع المستقبل يجب أن تكون على صورة تحول بينها وبين إنتاج المواد الحربية ، ولا بد من وجود لجنة عالية دائمة تراقب تنقية المصانع وتشرف على الصناعة في الدول التي يشملها ميثاق السلام .

ويعرج الكاتب بعد ذلك على نظام الحكم في الدول الكبرى ، فيقرر أنه لا بد في السلم القادم أن تسود ديمقراطية ينال فيها الجمهور العادي نصيباً أكبر في إدارة

شئون البلاد . ويجب أن يضمن السلم القادم مثل هذه الديمقراطية لشكل الأمم حتى الصغيرة منها .

ويتطرق الكاتب إلى ضرورة إعادة النظر في القوانين الداخلية في الأمم التجارية ليخلص من ذلك إلى رأيه في أن مهمة القائمين على وضع صلح المستقبل ستكون أشق بكثير من مهمة الذين يديرون دفة الحرب حتى النصر .

قلوب صناعية

هذا هو العنوان الذي اختارته مجلة أمريكية للتحدث عن الاختراع الجديد للدكتور جون . هـ . جيبون من معمل أبحاث الجراحة بجامعة بنسلفانيا .

أما هذا الاختراع فهو قلب ورئتان من الصلب ، توصل هذا العالم إلى صنعهما وتجربتهما حتى أمكن الاستعاضة بهما عن القلب الحقيقي لمدة طويلة ، وأجريت التجارب عليهما في كثير من الحيوانات كالقطط واستطاعت قطة منها أن تلد وهي موصولة بهذا الاختراع الجديد .

ولا يرى الطبيب الذي اخترع هذا الجهاز إلى أن يحل محل القلب الطبيعي ، وإنما يرى أنه يحل كثيراً من مشاكل الطب ، ويقلل كثيراً من الوفيات التي تعترض من يموتون بأمراض القلب . ذلك أنه يرى أن هذا الجهاز بقيامه بمهمة القلب والرئتين يسهل على الطبيب إجراء العمليات الجراحية اللازمة للمرضى والتي يتحتم فيها مس القلب دون التعرض لخطر توقفه عن الحركة ، فيستطيع الطبيب أن يوقف حركة القلب لمدة قد تزيد عن عشرين دقيقة يمكنه في خلالها مزاولة عمله ، كإخراج رصاصة أو ملاقاة طعنة عميقة أو إزالة اضطراب في أجزاء القلب . وفي خلال هذه المدة تكون الدورة الدموية مستمرة في عملها خلال هذا القلب الصناعي خارج جسد المريض .

ويقدر الدكتور جون جيبون أن هذا الجهاز الجديد لم يصل بعد إلى درجة الكمال ، وأن هناك أخطاراً غير منظورة قد تحدث أثناء استعماله ، ولكنه مع ذلك يؤمل أن يستطيع التغلب على هذه الأخطار والوصول بجهازه إلى درجة من الكمال تجعل استعماله أكثر احتمالاً للنجاح وأقل تعرضاً للفشل .

طبعت بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — شارع الكرداسي رقم ٩ بعابدين — مصر